الفصــل الثالث

الاساس الاجتماعـــــــــي

اولاً : مفهوم الضبط الاجتماعي

يعد موضوع الضبط الاجتماعي من اهم الموضوعات التي تناولها العلماء والمفكرون ، واهتم به علماء التربية والاجتماع وعلم النفس لصلته الوثيقة بتنظيم المجتمعات وحياة الافراد داخل هذه المجتمعات .

ولا يزال موضوع الضبط الاجتماعي يعاني كثيراً من الخلط والغموض ، ويرجع ذلك بالدرجة الاولى ال اختلاف العلماء انفسهم في مسألة تحديدهم لمفهوم الضبط الاجتماعي ، وعدم اتفاقهم على تعريف واضح محدد له ، وكذلك عدم اتفاقهم على ميدان الضبط الاجتماعي وحدوده بوصفه عملية تنطوي على كثير من المضامين والمفهومات التي تتدخل في تحديد ابعاده ووظائفه بالنظر الى اسسه ومجالاته النظرية والعملية .

وقد وردت اشارات الى مسألة النظام والقواعد المنظمة للسلوك والسلطة في كثير من الكتب القديمة ، حيث تعرض فلاسفة اليونان القدماء لمسألة الضبط الاجتماعي ، ولكنهم استخدموا مصطلحات اخرى : كالقانون او الدين او العرف او الاخلاق .

غير ان اول رائد لمفهوم الضبط الاجتماعي هو العلامة العربي " ابن خلدون " الذي اشار في مقدمته الى الضبط الاجتماعي بصورة اكثر وضوحاً وتحديداً في قوله : " ان الاجتماع للبشر ضروري ولا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه ، وحكمه فيهم اما ان يستند الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه وايمانهم بالثواب والعقاب عليه ، او الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليه ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم ، فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرة ، والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط " . كما يرى ان " الانسان بحاجة الى سلطة ضابطة لسلوطه الاجتماعي ، وان عمران المدن بحاجة الى تدخل ذوي الشأن والسلطان من اجل فاعلية النوازع وحماية المنشآت . ووسائل الضبط التي تحقق هذه الغاية تتمثل في : الدين ، والقانون ، والآداب العامة ، والاعراف ، والعادات ، والتقاليد ... " .

ثانياً : الضبط ضرورة اجتماعية

الانسان بطبيعته اجتماعي ، لا يستطيع العيش وحيداً ولا بد ان ينتمي الى جماعة يستمد منها القوة والطمأنينة ، ويسهم مع الآخرين في تحقيق الخير والمعيشة الكريمة . وقد بدأت المجتمعات البشرية بمجتمع العائلة ، ثم توسعت الى مجتمع القبيلة ومجتمع القرية ومجتمع المدينة حتى اصبحت مجتمعات قومية .

وترتكز المجتمعات في بنيتها على العناصر التالية :

- قيم اخلاقية يؤمن بها افراد المجتمع ، وتمثل الاهداف والغايات التي يسعون الى تحقيقها .
- ترجمة قيم الجماعة الى انظمة وقوانين واعراف تلتزم بها الجماعة في نشاطهم وساوكهم ، ويعتبرون من يخالفها مذنباً يستحق العقاب . وفي كل جماعة من الجماعات تنشأ طائفة من الافعال والممارسات والاجراءات والطرق التي يزاولها الافراد لتنظيم احوالها والتعبير عن افكارهم وما يجول في مشاعرهم ، ولتحقيق الغايات التي يسعون اليها . وعندما تستقر هذه الافعال في شعور الجماعة وترسخ في عقول الافراد تصبح قواعد ملزمة ، تكون نظماً مختلفة الى التنظيم الاجتماعي الذي يرتكز عليه استقرار المجتمع . وقد اعتبر العالم " هربرت سبنسر " المجتمع كائناً عضوياً يشبه من كل نواحيه وخصائصه ومقوماته ووظائفه الجسم الحي ، كما انه يتطور كما تتطور الكائنات العضوية ، فكما ان للجسم العضوي بناء عام او هيكل يضم مجموعة من الاعضاء الداخلية كالقلب والمعدة والامعاء ، ولكل عضو من هذه الاعضاء وظيفة معينة تتفاعل مع وظائف الاعضاء الاخرى من اجل ابقاء الجسم او البناء العضوي حياً ، كذلك للمجتمع بناء او هيكل عام يضم مجموعة من النظم (كالنظام السياسي والاسري والاقتصادي ...) . ويقوم كل نظام بأداء وظيفة محددة ، في اطار اشباع حاجات اعضاء المجتمع ، وتتفاعل هذه النظم مع بعضها بحيث تبقي المجتمع قائماً بذاته . واذا حدث خلل جوهري في وظائف أي عضو من اعضاء الجسم ، فإنه يمرض وقد يصل الى الوفاة ، كذلك فان اختلال أي نظام من نظم المجتمع يؤدي الى ظهور الامراض الاجتماعية متمثلة في الجريمة والتفكك الاسري وانحراف الاحداث والتسيب ... الخ ، وكما ان الجسم الانساني يموت فان المجتمع يمكن ان يتفكك وينحل . وعلى هذا ، فقد ذهب كل من اوجبرن ونيمكوف Ogburn and Nimkoff ، الى ان دارسي علم الاجتماع ، يستخدمون اصطلاح الضبط الاجتماعي بطريقة عامة جداً في وصف كل الوسائل ، التي تستخدمها الجماعة في تحقيق النظام الاجتماعي . ويترتب على هذا الاستخدام ، ان العادات الشعبية ، وتقسيم العمل ، مثلاً يمكن تصنيفهما من وسائل الضبط الاجتماعي ، ما داما يساعدان على استمرار الجماعة وتكاملها . فالضبط ، في نظرهما ، هو

العمليات والوسائل ، التي تستخدمها الجماعة في تضييق نطاق الانحرافات عن المعايير الاجتماعية .

ان كل عرف اجتماعي ، وكل مظهر من مظاهر السلوك العام ، هو الى درجة ما ، وسيلة للضبط الاجتماعي ؛ بل ان ابسط قواعد السلوك ، او ابسط مظاهر التقاليد او آداب السلوك العام ، هي ادوات ووسائل للضبط الاجتماعي .

1 - اهمية الضبط الاجتماعي ، وتكور الاهتمام به

لقد نال موضوع الضبط الاجتماعي عناية كثير من علماء الاجتماع ، منذ ان قرر ابن خلدون ، ان الضبط الاجتماعي اساس للحياة الاجتماعية ، وضمان لامنها ، واستمرار لبقائها . فهو يقول ان الاجتماع الانساني ضروري ، اذ ان الانسان مدني بطبعه ، أي لا بد له من الاجتماع ، الذي هو المدنية . ثم ان هذا الاجتماع ، اذا حصل للبشر ؛ ومن ثم ، عمران العالم بهم ، فلا بد من وازع ، يدفع بعضهم عن بعض ؛ لما في طباعهم الحيوانية من العدوان ، والظلم . ويقول ، في موضع اخر ، انه لا بد للبشر من الحكم الوازع ، أي الحكم بشرع مفروض من عند الله ، يأتي به واحد من البشر ؛ وانه لا بد ان يمون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ، ليقع التسليم له ، والقبول منه ؛ حتى يكون الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ، ولا تزييف .

ومن العلماء ، الذين اسهموا في دراسة عملية الضبط الاجتماعي والاجتماع القانوني ، مونتسكيو Montesquieu ، في كتابه " روح القوانين " حيث اشار الى ان لكل مجتمع قانونه ، الذي يلائم بيئته ، الطبيعية والاجتماعية ؛ أي انه اكد العلاقة بين القانون ، والضبط ، والظواهر الاجتماعية ، والنظم . وتنبثق من هذه العلاقة روح عامة ، تؤثر في السلوك الاجتماعي ، وتضبط التصرفات ، وتؤثر في المؤسسات والمنظمات ، الاجتماعية والقانونية . وقد ازداد الاهتمام بموضوع الضبط الاجتماعي ، على يد عالم الاجتماع الامريكي ، ادوارد روس Edward Ross ، الذي اكد اهمية الضبط الاجتماعي في الحياة الاجتماعية ، وحفظ كيان المجتمع . ثم تطورت دراسة الضبط ، في الفترة الاخيرة ، بازدياد الابحاث ، التي اجريت على الجماعات وعمليات التفاعل الاجتماعي ؛ وما تمخضت به من ابراز لموضوعات جديدة في علم الاجتماع ، كمستويات الفعل الاجتماعي ، والمعايير الاجتماعية ، والقيم والقواعد العامة للسلوك . لذا رأى علماء الاجتماع ، ان الضبط الاجتماعي ، اصبح ، في الواقع ، مرادفاً للتنظيم الاجتماعي Social Organization ، على اساس ان التنظيم الاجتماعي ، يشير الى القيود والانماط كافة ، التي يتولد منها الانضباط والنظام الاجتماعي ؛ وان كان الضبط الاجتماعي يقتصر ، في اكثر اشكاله شيوعاً ، على التأثير الناجم عن الاجهزة الرسمية . كما اهتم علماء الاجتماع بربط

الضبط الاجتماعي ربطاً وثيقاً بالثقافة . وجعلوا من العسير دراسة الضبط الاجتماعي بعيداً عن علم اجتماع الثقافة . مثال ذلك ، ان جورفيتش Gorfetch ، يرى ان الضبط هو مجموع الانماط الثقافية ، التي يعتمد عليها المجتمع عامة في ضبط التوتر والصراع . فالضبط ، اذاً ، وسيلة اجتماعية او ثقافية ، تفرض قيوداً منظمة على السلوك الفردي او الجماعي ، لجعله مسايراً لقيم المجتمع وتقاليده .

2 ـ اشكال الضبط الاجتماعي :

لما كان الضبط الاجتماعي هو القوة ، التي بها يمتثل الافراد ، نظم المجتمع الذي يعيشون فيه ؛ فان وسائل الضبط واشكاله تختلف من مجتمع الى اخر ، بل في المجتمع الواحد نفسه ، باختلاف الزمان والمكان . فالضبط في المجتمعات الشرقية المحافظة ، يختلف عن الضبط في تلك الغربية المتحررة . ومن الممكن ان تختلف وسائل الضبط واشكاله ، داخل المجتمع الواحد ؛ فهو في صعيد مصر ، يكون ، عادة ، اكثر صرامة وشدة منه في الوجه البحري . كما ان وسائل الضبط في العصور الماضية ، هي غيرها في هذه الحديثة ، من حيث درجة الشدة والصرامة . وعلى هذا ، يرى علماء الاجتماع ، ان للضبط شكلين رئيسيين ، هما :

أ – الضبط القهري Coercive Control

وينشأ هذا الشكل من الضبط بناءً على فاعلية القانون والحكومة والقرارات واللوائح التنظيمية ، سواء داخل المجتمع او الجماعات ؛ ويصاحب ، عادة ، بالقوة او الخوف من استخدامها . فانماط السلوك الرادعة ، في حالات الجريمة ، انما هي نوع من الضبط القهري ، الذي يمارسه المجتمع ، لمنع الجريمة ، وردع الآخرين عن اقتراف السلوك ، الذي ينافي القيم والمعايير الاجتماعية .

ب – الضبط المقنع Persuasive Control

اصلهُ التفاعلات الاجتماعية والوسائل الاجتماعية المختلفة ، التي تقنع المرء بالتزام قيم المجتمع وقوانينه ؛ وذلك بناءً على الانتماء الى الجماعة ، وعمليات التطبيع الاجتماعي منذ الصغر ، وتعود قيم الطاعة ، ومسايرة المعايير الاجتماعية السائدة داخل المجتمع . وعادة يكون الجزاء الاجتماعي على هذا النوع من الضبط الاجتماعي جزاءً معنوياً ، بمعنى ان الخروج على قيم المجتمع ، يقابله بالنبذ والاستهجان ، او البعد عن غير الملتزمين .

كما قد يكون الضبط الاجتماعي مباشراً ، كما هو الحال في القوانين المكتوبة ؛ او غير مباشر ، كما يتمثل في التوقعات العامة والعادات والتقاليد غير المكتوبة .

3 – وسائل الضبط الاجتماعي

من اهم وسائل الضبط الاجتماعي ، واكثرها انتشاراً في المجتمعات الانسانية ، على اختلاف نوعياتها ، وتفاوت شدة تلك الوسائل :

أ – **العُرف Mors** : العُرف هو اهم اساليب الضبط الاجتماعي الراسخة في المجتمع ، لكونه اهم الطرائق والاساليب ، التي توجدها الحياة الاجتماعية ، تدريجاً ، فينمو مع الزمن ، ويزداد ثبوتاً وتأصلاً . ويخضع له افراد المجتمع اجمعون ؛ لانه يستمد قوته من فكر الجماعة وعقائدها ؛ فضلاً عن تأصل رغباتها وظروف الحياة المعيشية ؛ والا لما استقر زمناً طويلاً في المجتمع . والاعراف غالباً ما تستخدم في حالة الجمع ، لانها طرائق عمل الاشياء ، التي تحمل في طياتها عامل الجبر والالزام ؛ لانها تحقق رفاهية الجماعة . واستطراداً ، فهي تأخذ طابع المحرمات Taboos ، التي تمنع فعل اشياء معينة او ممارسة معينة . ولذلك ، تدين اعرافنا وأد البنات ، واكل لحوم البشر ، وزواج المرأة برجلين في وقت واحد . وقد ذكر سابير Sapir ، ان اصطلاح العرف ، يطلق على تلك العادات ، التي يكتنفها الشعور بالصواب او الخطأ في اساليب السلوك المختلفة . وعُرف أي جماعة هو اخلاقياتها غير المصوغة ، وغير المقننة ، كما تبدو في السلوك العملي .

بناءً على ذلك ، يعني العُرف المعتقدات الفكرية السائدة ، التي غرست ، نفسياً ، لدى افراد المجتمع . يمارسونه حتى يصبح امراً مقدساً ، على الرغم من انتفاء قيمته ، احياناً . وهو اقوى من العادات والتقاليد على التأثير في سلوك الناس .

ب – العادات والتقاليد

العادات ظاهرة اجتماعية ، تشير الى كل ما يفعله الناس ، وتعودوا فعله بالتكرار . وهي ضرورة اجتماعية ، إذ تصدر عن غريزة اجتماعية ، وليس عن حكومة او سلطة تشريعية وتنفيذية ؛ فهي تلقائية لان اعضاء المجتمع الواحد ، يتعارفون فيما بينهم على ما ينبغي ان يفعلوه ؛ وذلك برضاء جميعهم . والعادة قد تكون أحدية ، مثل : عادات الانسان اليومية ، في المأكل والملبس ، وعادات النوم والاستذكار وغيرها . أما العادة الجمعية ، فهي التي يتفق عليها ابناء الجماعة ، وتنتشر بينهم ، مثل عادات المصريين في الاعياد والمواسم الدينية . اما التقاليد ، فهي خاصية ، تتصف بالتوارث من جيل الى جيل ، وتنبع الرغبة في التمسك بها من انها ميراث من الاسلاف والآباء نافع ومفيد .

بيد ان ثمة اختلافاً بين العادات والتقاليد ، يتمثل في ان العادات الاجتماعية انماط سلوكية ، ألفها الناس وارتضوها ، على مر الزمن ؛ ويسيرون على هديها ، ويتصرفون بمقتضاها ، من دون تفكير فيها . وهي تختلف من مجتمع الى آخر ، وفقاً لظروفه والخواص التي تميزه . وهي لا تنشأ من مبادرة امرئ واحد الى عمل معين ، مرة واحدة بل ان السلوك لكي يصبح عادة اجتماعية ، يجب ان يتكرر وينتشر ،

فيصبح نمطاً للسلوك في مجتمع معين . اما التقاليد ، فهي انماط سلوكية ، ألفها الناس ، ويشعرون نحوها بقدر كبير من التقديس ، ولا يفكرون في العدول عنها او تغييرها .

ج – عملية التنشئة الاجتماعية

هي العملية التي تطبع الانسان ، منذ مراحل الطفولة المبكرة ، وتعده للحياة الاجتماعية المقبلة ، تعلم الطفل قيم المجتمع ومعاييره الاساسية ، التي سيشارك فيها غيره حينما ينضج . ولقد اثبتت الدراسات ، ان الطفل يتأثر بالوراثة من والديه ، التي لا تنتهي بالمولد ؛ وانما بالتقليد والمحاكاة ، يبدأ ببناء شخصيته ، بعد ان انعكس امامه كل ما حوله من مؤثرات اجتماعية . ومن ثم ، كانت اهمية التنشئة في تكوين العادات وتهذيبها . وفي هذا المجال ، يبين جولد سميث Gold Smith اهمية دور المدرسة في تنشئة الطفل وتربيته ؛ اذ يتعلم فيها احترام نفسه واحترام الآخرين ، كما يتعلم ضبط نفسه . وفي المدرسة ، يجد النمط المثالي التالي لنمط والديه ، متمثلاً في المدرس ، فيطيعه ، فيغرس فيه المدرس عادة الطاعة والاحترام وبذور الحكمة . وهكذا ، تصبح التربية اداة اخلاقية في يد المجتمع ، لضبط ابنائه .

د – القانون : هو اعلى انواع الضبط الاجتماعي دقة وتنظيماً . وهو يتميز عن بقية الضوابط الاخرى بكونه اكثرها موضوعية وتحديداً ، كما ينطوي على عدالة في المعاملة ، لا تفرق بين ابناء المجتمع ؛ فالثواب والعقاب صنوان في القانون ، وهدف الجزاء والعقاب هو الردع ، او منع وقوع جريمة او ارتكاب الخطأ . كما ان هناك فائدة اخرى للقانون ، اذ يتضح انه سياج على الحريات الاحدية . ومن ناحية اخرى ، فانه يحدد العقوبات وفقاً للخطر الذي يمثله الخارجون عليه ، وطبقاً لمدى جذب الجريمة للمجرم .

الخاتمة :

باختصار ، ان القانون ، بصفته ضابطاً اجتماعياً ، ينطوي على جميع الآليات التي تؤهله لمنع الانحراف ، وعقاب المنحرف ؛ نظراً الى قوته الالزامية ، ونصوصه الواضحة ، والمحددة ، التي توقع الجزاء على من يخالفه .

4 – نظريات الضبط الاجتماعي

اختلفت افكار العلماء والباحثين حول مفهوم الضبط الاجتماعي وما ينضوي عليه ، وتعددت تعريفاتهم لمصطلح الضبط الاجتماعي ، وتبعاً لذلك ظهرت عدة نظريات في مجال الضبط الاجتماعي ، كل نظرية تفسر وجهة نظر صاحبها وفكرته عن الضبط الاجتماعي . وفيما يلي عرض موجز لاهم نظريات الضبط الاجتماعي الغربية القديمة والحديثة .

أ – نظرية تطور وسائل الضبط الاجتماعي (روس : Ross)

تقوم هذه النظرية على اساس الطبيعة الخيرة للانسان ، اذ يعتقد روس ان داخل النفس الانسانية اربع غرائز هي : المشاركة او التعاطف ، القابلية للاجتماع ، الاحساس بالعدالة ، ورد الفعل الفردي . تشكل هذه الغرائز نظاماً اجتماعياً للانسان يقوم على تبادل العلاقات بين افراد المجتمع بشكل ودي . وكلما تطور المجتمع ضعفت تلك الغرائز وظهرت سيطرة المصلحة الذاتية عليه ، وهنا يضطر المجتمع لوضع ضوابط مصطنعة تحكم العلاقات بين افراده وتزداد تلك الضوابط وتتطور كلما ازداد تحضر المجتمع ، وتعقدت انظمته ، وتباينت جماعاته . أي ان هناك مجموعة اسباب اوجدت الحاجة الى الضبط الاجتماعي وتطور وسائله وهي :

1. زيادة حجم السكان وظهور طوائف وعشائر جديدة .
2. ضعف الغرائز الطبيعية ، وظهور الانانية الفردية .
3. ظهور جماعات متباينة (اقتصادياً او عنصرياً او طبقياً او ثقافياً ...) في المجتمع الواحد .

ب – نظرية الضوابط التلقائية (سمنر : Summer)

تنصب الفكرة الاساسية انظرية سمنر على ان الصفة الرئيسة للواقع الاجتماعي تعرض نفسها بطريقة واضحة في تنظيم السلوك عن طريق العادات الشعبية ، اذ انها تعمل على ضبط التفاعل الاجتماعي ، وهي ليست من خلق الارادة الانسانية . فهو يقول في كتابه " الطرائق الشعبية " : ((ان الطرائق الشعبلية عبارة عن عادات المجتمع واعرافه ، وطالما انها محتفظة بفاعليتها فهي تحكم بالضرورة السلوك الاجتماعي ، وبالتالي تصبح ضرورية لنجاح الاجيال المتعاقبة)) فالاعراف عند سمنر لها اهمية بالغة ، فهي التي تحكم النظم والقوانين وهو يرى انه لا يوجد حد فاصل بين الاعراف والقوانين ، والفرق بينهما يكمن في الجزاءات ، حيث ان الجزاءات القانونية اكثر عقلانية وتنظيماً من الجزاءات العرفية .

ج – نظرية الضبط الذاتي (كولي : Cooley)

ينظر كولي للمجتمع على اساس انه كل لا يتجزأ يعتمد في تنظيمه الاجتماعي على الرمز والانماط والمستويات الجمعية والقيم والمثل ، فهو يرى ان الضبط الاجتماعي هو تلك العملية المستمرة التي تكمن في الخلق الذاتي للمجتمع ، أي انه ضبط ذاتي يقوم به المجتمع ، فالمجتمع هو الذي يضبط ، وهو الذي ينضبط في نفس الوقت . وبناءً عليه فالافراد ليسوا منعزلين عن العقل الاجتماعي . والضبط الاجتماعي يفرض على الكل الاجتماعي وبواسطته ، وهو يظهر في المجتمعات الشاملة والجماعات الخاصة .

د – النظرية البنائية الوظيفية (لانديز : Landis)

يرتكز لانديز على مكونات البناء الاجتماعي ودورها في الضبط الاجتماعي ، كما يركز على مفهوم التوازن الوظيفي بين النظم الاجتماعية وعلاقة هذه النظم بالضبط الاجتماعي . ويصور لانديز النظم الاجتماعية على شكل خط متصل نظري ، يمثل احد طرفيه التفكك الاجتماعي الذي يتسم بالفوضوية والنزعات الفردية ، بينما يمثل الطرف الآخر التنظيم الاجتماعي الاكثر صرامة والذي يتميز بالاعتماد على السلطة المطلقة ، وبينهما توجد منطقة تسامح واسعة ويمده بالوسائل والاساليب اللازمة لذلك " .

و – النظرية الثقافية التكاملية (جيروفيتش : Gurvitch)

يركز جيروفيتش على ضرورة دراسة الضبط الاجتماعي على اسس وشروط تتمثـل في :

1. ان الضبط الاجتماعي ليس نتيجة لتطور المجتمع وتقدمه ، بل انه كان موجوداً في المراحل المبكرة من تاريخ المجتمعات الانسانية ، إذ يستحيل تصور مجتمع بلا ضوابط .
2. ان الضبط الاجتماعي واقع اجتماعي وليس اداة للتقدم .
3. عدم وجود صراع بين المجتمع والافراد .
4. ان كل نمط من انماط المجتمعات هو عبارة عن عالم صغير يتألف من جماعات ، لذا فان مؤسسات الضبط الاجتماعي تختلف باختلاف الجماعات والمؤسسات .

ويذهب جيروفيتش الى ان الضبط الاجتماعي اما ان يكون ضبطاً منظماً ، او ضبطاً عن طريق الممارسات الثقافية والرموز كالعادات والتقاليد ، او ضبطاً تلقائياً من خلال القيم والافكار والمثل ، او ضبطاً اكثر تلقائية من خلال الخبرة الجمعية المباشرة .

تلك كانت اهم النظريات في الضبط الاجتماعي ، ويتضح مدى التباين والاختلاف في نظرة علماء الاجتماع الى طبيعة الضبط الاجتماعي ، فقد اهتم روس بالغرائز الانسانية ودورها الايجابي

والسلبي في الضبط الذاتي ، في حين ركز سمنر على الاعراف والتقاليد ، واعتبرها الوسيلة الوحيدة والضابطة للمجتمع ، بينما ابرز كولي دور المثل والقيم في تحقيق الضبط الذاتي فضبط الجماعة ينبع من ضبط الفرد لذاته . اما لانديز فقد اهتم بالنظم الاجتماعية باعتبارها ادوات الضبط الاجتماعي ، ووضع جيروفيتش شروطاً ينبغي اخذها بعين الاعتبار عند دراسة الضبط الاجتماعي .

التربية والثقافة :

ـ تعريف الثقافة :

- لغة : الثقافة مصدر الفعل الثلاثي (ثَـقَـفَ)
- وتشير المعاجم العربية الى ان لفظ (ثقف) الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة : بمعنى حذقه ، ورجل ثقف أي حاذق ، فهم .

وتستخدم ايضاً بمعنى سرعة التعلم وكذلك في الظفر بالشيء كما في قوله تعالى : (( ))
الانفال 57 .

ـ الثقافة هي طريقة هذا المجتمع في الحياة ، او هي تلك الاشياء التي يفكر بها اعضاؤه ويحسون بها ويضطلعون بها .

- ويعرف (هوبل) Hoebel الثقافة بانها السمات الكلية للسلوك المتعلم الذي يبديه ويمارسه اعضاء المجتمع .
- ويعرفها (مردوك) بأنها العادات التي يتفق عليها اعضاء المجتمع . ويعرف (رالف لينتون) الثقافة كما يلي :
- " الثقافة تشكيل للسلوك المكتسب ولنتائج السلوك التي يشترك في مكوناتها اعضاء مجتمع معين وينقلونها " .
- ويمكن استخدام عبارة (النمط الثقافي) لتعني اساليب السلوك المرتبطة بحاجة او وظيفة دائمة في الحياة الاجتماعية .

والثقافة بمفهومها الشامل هي : تلك الالوان المختلفة من السلوك واسلوب التفكير واساليب العمل والتفاعل والتوافق مع الحياة التي اصطلح افراد مجتمع معين على قبولها واصبحوا يتميزون بذلك عن غيرهم فهي اذا جميع طرق ووسائل الحياة المختلفة .

فالثقافة كما عرفناها سابقاً كل واحد مركب من السلوك ، ونتائج السلوك ، واكتساب السلوك ، وتشكيلة السلوك .

تصنف الثقافة في المجتمع الى ثلاث اصناف :

1 – العموميات :

- تشمل العناصر التي يشترك فيها الغالبية العظمى من افراد المجتمع الواحد مثل : الزي واللغة والتحية وكذلك المنتجات الصناعية والمادية الشائع استعمالها في المجتمع وهذه العموميات تعطي الثقافة طابعها العام الذي يميزها عن سائر الثقافات الاخرى ، وتساعد على تماسك المجتمع .
- وتقوم التربية بنقل هذا القدر المشترك من عموميات الثقافة لافراد المجتمع ، ليتدعم الكيان الاجتماعي ويزداد تماسكه .

2 – الخصوصيات :

- تشمل الظواهر التي لا يشارك فيها سوى افراد من فئة متميزة معينة حيث تتميز فئة معينة من المجتمع بثقافة معينة عن بقية المجتمع . فثقافة اهل الحضر تختلف عن ثقافة اهل الريف وثقافة الطبقة الغنية تختلف عن الطبقة الفقيرة .
- ان الثقافات الفرعية تشترك جميعها في اصل واحد وهو العموميات .

اقسام الخصوصيات :

أ – خصوصيات مهنية :

وهي التي تستلزم لممارستها خبرات ومهارات فنية ومصطلحات سلوكية خاصة دون اعتبار لاصحاب هذه المهارات فمثلاً قد يصبح ابن الفلاح طبيباً .

ب – خصوصيات طبقية :

وهي التي توجد بين افراد طبقة اجتماعية معينة ، وكل واحدة من هذه لها قيمها واتجاهاتها ومصطلحات سلوكها وآدابها ومعاييرها الخاصة المنظمة لحياتها .

والفرق بين الخصوصيات المهنية والطبقية ان الخصوصيات المهنية متاحة لمن يتقنها من افراد المجتمع اما الطبقية فهي محصورة على طبقة معينة .

3 – البدائل او المتغيرات :

تشمل الاشياء التي لا يشارك فيها الا عدد محدود من الافراد مثل بعض التقاليع والموضات الجديدة وهي اكثر جوانب الثقافة عرضة للتغيير فقد تزول اذا لم يقبلها المجتمع وقد تنتقل الى الخصوصيات ا والى العموميات بحسب اهميتها في تحقيق وظائف هامة للمجتمع .

صفات الثقافة :

1 . الثقافة من صنع الانسان :

أي انها ليست شيئاً جامداً خارجياً عن حياة الانسان فهي من صنع الانسان نفسه فالانسان صنع ثقافته الانسانية من خلال عمله وتفاعله مع الطبيعة والآخرين .

2 . الثقافة متغيرة :

الثقافة شيء متغير صنعها الانسان خلال تفاعله مع الطبيعة والمجتمع لاشباع حاجاته.

3 . الثقافة تصنع الانسان :

اذا كان الانسان هو صانع الثقافة فان الطفل الصغير انما يولد في ثقافة وهي التي تشكل يلوكه واتجاهاته .

4 . انها انسانية :

أي خاصة بالانسان وحده دون سائر المخلوقات .

5 . انها اجتماعية :

أي انها تنشأ عن طريق الاتصال والتفاعل ما بين افراد البيئة الاجتماعية .

6 . انها مكتسبة :

أي تكتسب بالتعلم ويتعلمها الفرد بعد مولده عن طريق عمليات التربية والتعليم والتعلم وينقلها الافراد من جيل الى جيل .

7 . انها مادية ومعنوية في آن واحد :

فثقافة المجتمع تحدد اسلوب الحياة في هذا المجتمع سواء من ناحية وسائل الانتاج والتعامل والانظمة السياسية والاجتماعية او من ناحية الافكار والقيم والعادات والتقاليد .

8 . انها عضوية :

بمعنى ان عناصرها يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يتأثر به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح والنظام التعليمي يتأثر بالنظامين .

9. انها تتسم بالثبات ودائمة التغيير :

في كل وقت وهذا يعني ان لكل ثقافة مجموعة من المعالم والعناصر الثابتة يتميز بها المجتمع الذي تعيش فيه وهي ايضاً عرضة للتغيير .

10. انها متنوعة المضمون :

حيث تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة قد تصل احياناً الى حد التناقض فنجد هناك مجتمعات تتيح تعدد الزوجات بينما مجتمعات اخرى تعاقب عليها .

11. انها متشابهة الشكل :

اذا نظرنا الى الاطار الشكلي او الخارجي للنظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات مهما اختلف مستواها الحضاري ، ففي كل ثقافة نجد القطاعات التالية : المادي والاجتماعي والرمزي وفي كل ثقافة هناك نظام عائلي او اقتصادي مع اختلاف في المضمون .

12. انها قابلة للانتقال :

أي قابلة للانتشار من جيل الى جيل ومن مجموعة الى اخرى بطرق عديدة اهمها التعليم . ويكون التعليم سريعاً وفعالاً حين تبدو اهمية العناصر الثقافية المنقولة .

13. انها تصنع الانسان :

فعلى الرغم من ان الانسان هو صانع الثقافة الا انها تعود هي فتصنعه وتشكله حسب آخر انماطها التي وصلت اليها ..

14. انها فكر وعمل :

فالانسان على سطح الارض كان عليه ان يفكر ، وان يعمل حتى يستطيع البقاء .

العلاقة بين الثقافة والتربية :

العلاقة بين الثقافة والتربية وطيدة فلا غنى لاحدهما عن الاخر فهر علاقة تفاعلية :

اولاً : الثقافة والتربية

أ - تعتمد الثقافة على التربية كلياً باعتبارها سلوكاً متعلماً .

ب - الثقافة تنتقل وتستمر عن طريق التفاعل والتربية .

ج - الفهم الصحيح للثقافة يؤدي الى تخطيط سليم للتربية .

د - الثقافة من واقع طبيعتها ذات صبغة اجتماعية .

هـ- الثقافة هي الوسيلة للتطور والبقاء .

و – الثقافة لها تأثير على التربية لتحقيق اهداف معينة تنطلق منها .

ثانياً : التربية والثقافة

أ - التربية تغرف من الوعاء الثقافي العام.

ب - التربية تحدث في اطار الثقافة بما فيها من قيم .

ج – من اهم وظائفها المحافظة على الثقافة .

د – هي التي تنفي ثقافة الامم من كل شائبة يمكن ان تعوق التقدم .

هـ - تقوم التربية باحداث التراكم الثقافي وتطويره .

و – هي الوسيلة التي يتعرف الجيل من خلالها على ثقافته .

ي – التربية عملية اجتماعية تحقق التماسك الثقافي فيه .

اهمية دراسة الثقافة بالنسبة للعلم :

اعداد المعلم من الركائز الاساسية لانجاح العملية التربوية في أي مجتمع . ونجاح المعلم يعتمد على الاعداد المهني والاكاديمي والثقافي .

نتائج معرفة المعلم بالثقافة :

1 – معرفة التلاميذ وفهمهم .

2 – خلق الانسجام الاجتماعي بين التلاميذ .

3 – تعويض النقص ان وجد او اختلاف وجهات النظر .

4 – تخطيط المنهج بشكل يناسب ثقافة المجتمع .

5 – اتباع استراتيجية مناسبة للتلاميذ .

التربية والبيئـــــة

1 – مفهومها

ان اية اجراءات تتخذ لحماية البيئة والمحافظة عليها ومواجهة مشكلاتها ينبغي ان تبدأ بالانسان باعتباره المسؤول عن ظهور هذه المشكلات وذلك نتيجة سلوكه تجاه بيئته وتبصره مشكلاتها وقضاياها المختلفة مما يجعله يسعى الى فرض القوانين والتشريعات التي تضمن حماية البيئة ، والاساس في هذا الشأن يرجع الى تربية الانسان تربية بيئية يفهم من خلالها اسس التفاعل الصحيح مع بيئته ويقتنع باهمية المحافظة عليها ويسلك السلوك البيئي المناسب تجاهها ولن يتم ذلك الا من خلال المؤسسات التربوية المختلفة التي تهتم بتنمية ميوله ومعارفه واتجاهاته نحو البيئة .

تتعدد الاتجاهات في معنى التربية البيئية ومدلولها تبعاً لتعدد مدلول العملية التربوية واهدافها من جهة ومدلول البيئة من جهة اخرى فقد يبدو لبعض المربين ان دراسات البيئة في حد ذاتها تشكل الضمان الاكيد لتحقيق تربية بيئية في حين يرى البعض الآخر ان التربية البيئية تتعدى المفهوم الضيق للبيئة فهي عملية اعم واشمل واكثر عمقاً .

وكانت النتيجة المنطقية لهذه الرؤية الشمولية تطور في المفاهيم والانتقال من التصورات او الرؤى المجتزأة او المقتصرة على الجوانب الطبيعية البيولوجية البحتة للبيئة الفيزيائية او المحيط الى مفهوم اعمق واوسع مدى يجمع في ثناياه الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أي افراز النشاطات الانسانية في الهيكل البيئي الجامع الذي يشكل اطاراً عاماً يبرز تبعاً لتلك النظرة التكاملية والشمولية . ويختلف مفهوم التربية البيئية من مجتمع لآخر ولذلك نجد ان من الصعوبة بمكان ايجاد تعريف جامع لاي مفهون لان للتربية البيئية مفاهيم متعددة نشأت بسبب اختلاف نظرات المربين الى هذا الفرع من العلوم التربوية . ان تعريف التربية البيئة ليس عملاً سهلاً لانها تعتمد على المصادر البيولوجية والسوسيولوجية والانثروبيرلوجية والاقتصادية والسياسية والانسانية الا ان المؤسسات والهيئات الدولية وجدت ان من الضروري ان يتفق على المفاهيم الاساسية في مجال التربية البيئية مما يساعد على ايجاد لغة مشتركة او فكر مشترك يوحد الجهود في هذا المجال لمواجهة الاخطار المتزايدة والمتفاقمة التي يواجهها الانسان في عصره الحديث نتيجة الممارسات السلوكية الخاطئة ونقص الوعي البيئي وعلى الرغم من تعدد الرؤى حول الموضوع الا ان مفهوم التربية البيئية حدد في مؤتمر تبليسي بالاتحاد السوفيتي السابق عام 1977 على انه (عملية يتم من خلالها توعية الافراد او المجتمع ببيئتهم وتفاعل عناصرها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية فضلاً عن تزويدهم بالمعارف والقيم والكفايات والخبرة ، بل وبالارادة التي تيسر سبل العمل فرادي وجماعات لحل مشكلات البيئة في الحاضر والمستقبل .

ويعرف صبري الدمرداش التربية البيئية بأنها (العملية الاساسية التي تعنى باعداد المواطنين الواعين ببيئتهم البيوفيزيقية وما يرتبط بها من مشكلات والذين لديهم المعلومات والمهارات والاتجاهات

والالتزامات والدوافع التي تؤهلهم فرادى وجماعات للعمل على حل المشكلات الحالية للحيلولة دون ظهور مشكلات اخرى جديدة .

وعرفتها ندوة بلغراد 1975 على انها (النمط من التربية الذي يهدف الى تكوين جيل واع ومهتم بالبيئة وبالمشكلات المرتبطة ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام مما يتيح له ان يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة وان يحول بينها وبين العودة الى ظهورها مجدداً .

ويرى سليم 1985 ان التربية البيئية هي (عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم العلاقات المعقدة التي تربط الانسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيقي وتقديرها ، وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الانسان وحفاظاً على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته) .

في حين يرى شبلي 1996 ان التربية البيئية (عبارة عن برنامج تعليمي يهدف الى توضيح علاقة الانسان وتفاعله مع بيئته الطبيعية وما بها من موارد لتحقيق اكتساب التلاميذ خبرات تعليمية تتضمن الحقائق والمفاهيم والاتجاهات البيئية حول البيئة ومواردها الطبيعية .

من خلال ما تقدم نجد ان التربية البيئية هي عملية تعليمية قصدية تهدف الى خلق وعي بيئي لدى الافراد والجماعات وتوضيح العلاقة التي تربط بين الانسان ومحيطه بكافة ابعادها .

اهداف وغايات التربية البيئية :

تعتبر التربية وسيلة فعالة للحفاظ على الاتجاهات السائدة في التفكير الاجتماعي ولتغيرها . فهي من اكثر الوسائل تنظيماً لنقل الاتجاهات الاجتماعية والسيكولوجية الموروثة فهي وسيلة لخدمة اهداف المجموعات او الايديولوجيات المهيمنة داخل المجتمع رغم فائدتها بالنسبة لذلك المجتمع ككل . ولهذا السبب يمكن اعتبار التربية البيئية الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة نظراً لانها تمثل احدى الحركات الرئيسية التي يتم تصميمها وصياغتها بوعي لتلبية الاحتياجات الملحة للبشرية جمعاء فهي لم تنشأ تلبية لمصالح او افكار او تطلعات خاصة باي فرد او مجموعة او شعب معين بل استجابة لدوافع بيئية قهرية وقد حددت كل مرحلة او جانب من جوانب التربية البيئية (المعايير – الغايات والاهداف – الاستراتيجيات) عن طريق التأمل العميق على الصعيد الدولي كما عملت على تصنيف جميع الاهداف والعديد من السمات العامة لعملية التربية نفسها ولم تصمم التربية البيئية لمجرد نقل قيم ثقافية جديدة وانما لتطوير احدى القيم الثقافية .

وقد قام المؤتمر الدولي الحكومي في التربية البيئية الذي نظمته اليونسكو بالتعاون مع باميئة في تبليسي عام 1977 بصياغة معايير للتربية البيئية كي تساعد في توجيه الجهود المبذولة لتطوير كافة الجوانب المتعلقة بالتربية البيئية على المستويات الوطنية والاقليمية والدولية .

1. ان الجوانب البيولوجية والفيزيائية تشكل الاساس الطبيعي للبيئة البشرية فان الابعاد الاخلاقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية تحدد بدورها الاتجاهات والادوات التي يستطيع الانسان عن طريقها تفهم الطبيعة واستغلال مواردها على نحو افضل لاشباع حاجاته .
2. ان التربية البيئية هي نتاج عملية اعادة توجيه وربط لمختلف الفروع العلمية والخبرات التربوية بما ييسر الادراك المتكامل لمشكلات البيئة .
3. من الاهداف الاساسية للتربية البيئية التوصل الى جعل الافراد والمجتمعات يتفهمون الطابع المعقد للبيئة الطبيعية وللبيئة التي صنعها الانسان نتيجة لتفاعل جوانبها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويكتسبون المعارف والقيم والمواقف والمهارات العملية اللازمة للمشاركة المسؤولة والفعالة في توقي المشكلات البيئية وحلها .
4. ومن الاهداف الاساسية للتربية البيئية ايضاً ابراز اوجه التكافل الاقتصادية والسياسية والآيكلوجية حيث يمكن ان تترتب على قرارات الدول المختلفة وتصرفاتها عواقب دولية النطاق وبهذا ينبغي ان تسهم التربية البيئية في تنمية روح المسؤولية والتضامن بين البلدان باعتبارها اساساً لنظام دولي جديد يكفل صيانة البيئة وتحسينها .
5. ينبغي ايلاء عناية خاصة لتفهم العلاقات المعقدة بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحسين البيئة .
6. وتحقيقاً لهذا الفرض ينبغي ان تقدم التربية البيئية المعارف الضرورية لتفسيرالظواهر المعقدة التي تشكل البيئة وتشجيع القيم الاخلاقية والاقتصادية والجمالية التي تشكل اساس الانضباط الذاتي ومن ثم تساعد على تنمية انماط من السلوك تتوائم مع صيانة البيئة وتحسينها .
7. ولكي تؤدي التربية البيئية هذه المهام ينبغي ان تسعى الى توثيق الصلة بين العمليات التربوية والواقع بان تنظم انشطتها حول المشكلات البيئية التي تواجه مجتمعات معينة والى تحليل تلك المشكلات من خلال منظور شامل وجامع لعدة فروع علمية تتيح فهم المشكلات البيئية على نحو سليم .
8. ينبغي ان تعتبر التربية البيئية عملية مستمرة وان تنقل الى شتى المستفيدين منها بفضل التجديد المستمر لاتجاهات واساليبها الى معرفة تتلائم مع الظروف البيئية المتغيرة .
9. ينبغي ان تتجه التربية البيئية الى جميع فئات العمر وكل الفئات الاجتماعية فهي تستهدف :

أ – الجمهور العام غير المتخصص .

ب – بعض الجماعات الخاصة التي تؤثر انشطتها المهنية على البيئة .

ج – العلماء والتقنيين الذين تشكل بحوثهم وممارساتهم المتخصصة قاعدة المعارف التي ينبغي ان تتخذ اساساً للتربية البيئية .

10. تقتضي التنمية الفعالة للتربية البيئية الاستفادة من المرافق العامة والخاصة المتوفرة في المجتمع من اجل تثقيف السكان ، التعليم الثقافي ومختلف صور التعليم خارج المدرسة ووسائل الاعلام .

11. ولكي يسهم النشاط التربوي بصورة فعالة في تحسين البيئة يجب ان يرتبط بالتشريعات والسياسات وبتدابير الرقابة وبالقرارات التي تتخذها الحكومات فيما يتعلق بالبيئة البشرية .

ان الهدف الاساسي للتربية البيئية كما صاغه هارفي 1977 هو مساعدة الدارسين على النمو كمواطنين يمتلكون المعرفة والمهارات والمواقف التي تمكنهم وتشجعهم على تبني سلوكيات مسؤولة من الناحية البيئية ، وتتحسن القدرة على بلوغ هذا الهدف التعليمي تحسناً هائلاً اذا ما توفرت للمخططين مجموعة من الاهداف لمساعدتهم على اتخاذ القرارات المتعلقة بالمنهج .

اما غايات التربية البيئية فقد حددها مؤتمر تبليسي بما يلي :

1 – تعزيز الوعي والاهتمام بترابط المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والآيكلوجية في المناطق الحضرية والريفية .

2 – اتاحة الفرصة لكل شخص في اكتساب المعرفة والقيم والمواقف وروح الالتزام والمهارات الضرورية لحماية البيئة وتحسينها .

3– خلق انماط جديدة من السلوك تجاه البيئة لدى الافراد والجماعات والمجتمع ككل نحو البيئة .

وبهذا فان التربية البيئية تهدف الى مساعدة الافراد في جميع الاعمال على اكتساب :

1. ادراك واضح بان الانسان جزء لا ينفصل من نظام متكامل يتألف من الانسان وثقافته وبيئته الفيزيائية والبيولوجية وبأنه قادر على تغيير العلاقات التي تربط بين اجزاء هذا النظام .
2. ادراك متسع وواضح للبيئة الفيزيقية والبيولوجية سواء كانت طبيعية او صناعية ودورها في المجتمع المعاصر .
3. ادراك وفهم المشكلات البيئية المختلفة التي تواجه الانسان واساليب حل هذه المشكلات ومسؤولية الحكومات والمواطنين تجاه هذه المشكلات والحلول المقترحة لها .

4. الاهتمام بنوعية البيئة الفيزيقية والبيولوجية والاهتمام بتنمية وعي المواطنين نحو المشاركة في حل المشكلات البيئية وصيانتها .

التربية البيئية والمناهج :

من الاسس التي يرتكز عليها تخطيط المناهج الدراسية القوى الاجتماعية وتنمية القدرات البشرية وطبيعة التعلم وطبيعة المعرفة وتهدف البرامج التعليمية الى نقل ثقافة المجتمع وقيمه الى الاطفال في ظل الضغوط والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وقد جعل انفجار المعارف في العالم الحديث فن تلقين الفرد كل شيء امراً مستحيلاً . ومن ثم يتعين على المربين ان يختاروا من بين عدد متزايد من الحلول ما تتصف معرفته بالقدر الاكبر من الملائمة والاهمية للطفل وهناك ثلاثة مصادر رئيسة تستمد منها محتويات المناهج الدراسية هي :

أ . فروع المعرفة القديمة .
ب . فروع المعرفة الجديدة .
ج. العالم المعاصر .

ومن الاهداف الهامة للتربية تزويد الفرد بالقدرة على فهم العالم من النواحي الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهذا الفهم يتطلب دراسة المشكلات العديدة التي تواجهها الانسانية في الوقت الحاضر ويمكن زيادة فهم هذه المشكلات عن طريق خلق الوعي بشتى صنوف المشكلات ثم تهيئة الامكانيات المناسبة للتعرف على اسبابها واخيراً توفير الحلول المختلفة لحلها . ويتعين على نظام التعليم تهيئة فرص ادراج المشكلات ضمن المناهج الدراسية وتنمية الكفايات اللازمة لمعالجتها وهو ما يتسنى تحقيقه عن طريق الاخذ بمنهج دراسي مكتمل البناء يساعد على حل هذه المشكلات .

وتأتي مبررات ادخال مفاهيم التربية البيئية في مناهج التعليم من كون القوانين الطبيعية التي تحكم العلاقة بين مكونات البيئة الطبيعية لا تقبل التغيير في حين يقبل السلوك الانساني ذلك لانه يتشكل بالتعليم أي ان المحافظة على البيئة والتعامل مع الطبيعة هما استجابتان تكتسبان بالتعلم .

ويتعين ان يكون المنهج ملائماً للطلبة ويتصف بالدينامية وقابلاً لان يتضمن القضايا الهامة المعاصرة ولذا يشكل تطوير المناهج عملية مستمرة وينبغي لهذه العملية ان تنطوي على آليات لتحديد احتياجات المجتمع في اطار بيئة تتميز بديناميتها مع ادخال هذه الآليات في الحسبان في اطار عملية التطوير ، وتؤدي المناهج الدراسية دوراً كبيراً في تحقيق هدف الثقافة والوعي البيئي وما يترتب عليها من آثار ايجابية على البيئتين الداخلية والخارجية اذ يعد المنهج احدى الوسائل الرئيسة لتحقيق اهداف التربية والتعليم . ويمكن القول ان مناهج التربية البيئية في المراحل الدراسية المتقدمة ليس اقل منها

اهمية في المراحل الاولى فهي يمكن ان تقدم من خلال التوعية المنهجية المتخصصة التي ترتقي بتفكير الطالب الى مستوى الشعور بالمسؤولية البيئية وخلق المواطن الواعي المدرك لمخاطر التلوث بانواعه .

ولا شك ان احد الاهداف الرئيسة للتربية البيئية اعداد انسان قادر على ان يكون مواطناً فعالاً في المجتمع العالمي ويستطيع الاسهام في حل القضايا البيئية ويقتضي تحقيق هذا الهدف توفير عدد من المهارات التي لا غنى عنها وتشمل هذه المهارات :

1 – القدرة على التعرف على القضايا البيئية .

2 – القدرة على تحليل القضايا وتعيين هوية المشتركين افراد وجماعات ومعرفة اعتقاداتهم وقيمهم .

3 – القدرة على تقصي القضايا بجوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية والآيكلوجية باسلوب يتيح تحديد الحقائق المحيطة بها والحلول المقترحة لها .

4 – القدرة على تقويم وتعيين اكثر الوسائل فعالية لحلها .

5– القدرة على اعداد خطة عمل يمكن تنفيذها في محاولة حل او المساعدة في حل قضية معينة.

6 – القدرة على تنفيذ خطة عمل عندما تكون تلك الخطة متوافقة مع القيم الشخصية لمنفذها .

ان تحقيق هذه الاهداف التعليمية قد لا يكون مهمة سهلة فلو نظرنا الى مجموعة البحوث المتعلقة بتعليم قضية ما لتبينت لنا بعض النتائج البالغة الاهمية :

1. على الرغم من ان تناول الكتب التعليمية للقضايا البيئية آخذاً في التزايد ، فلا يزال النقص قائماً في تناول القضايا على نحو ييسر للمعلم امر استخدامها ، وعند وجود مثل هذه التغطية فانها تميل الى ان تكون على مستوى اثارة الوعي فقط دون اعطاء الدارسين فرصة التعمق في تقصي قضايا البيئة .
2. ان تدريس قضية بيئية ما ليس نشاطاً يتخلل التعليم يومياً في قاعات الدرس فهو لا يعدو نشاط توعية ومن ثم لا يحرز تقدماً نحو تحقيق النتائج الحاسمة هنا والمقترنة بتعليم تلك القضية البيئية .
3. اذا كان سلوك المواطنة يراد غرسه في اذهان الدارسين فان ذلك لن يتحقق عن طريق تدريس القضايا البيئية على مستوى التوعية وحسب فاذا اردنا لمواطني المستقبل ان يكونوا مواطنين مسؤولين وجب علينا تدريبهم على روح المسؤولية .

يتضح من ذلك ان تعليم القضايا البيئية يجب ان يتجاوز مستوى التوعية بها فيشمل على تدريب مباشر على اتقان المهارات وهذا يتطلب تعليم مهارات التقصي المتعمق وتعليم مهارات العمل الميداني ازاء قضايا البيئة حتى يتحقق سلوك بيئي حقيقي وسليم وتمثل التربية البيئية مكوناً رئيساً من مكونات النظام التعليمي الكلي النظامي وغير النظامي ويقوم النظام التعليمي النظامي فهو اقل تحديداً وتركيباً ويوجه الى الناس عامة ، يشمل النظام التعليمي النظامي التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة فتقدم لهم التربية البيئية في سياق المناهج الدراسية ، وكذلك كمنهج دراسي خاص . فالتربية البيئية تتضمن بناء مواد تتكامل داخل المناهج التقليدية كالجغرافية والفيزياء وعلوم الحياة . ويعني ذلك تضمين المفاهيم البيئية في كل الدراسات التي تتناول اسلوب حياة الانسان وتوازنه مع عالمه . ويقوم بناء المناهج في هذا الصدد على مضمون آيكلوجي يستثير دافعية التلاميذ نحو البيئة ومشكلاتها ويحفزهم الى حمايتها . ويفرض ذلك على المدرسة ان تتخلى عن المفهوم التقليدي للمنهج وان توسع اطارها المرجعي لكي تفيد من كل مصادر وموارد البيئة في بناء المنهج .

وتتخطى التربية البيئية اسوار المدرسة لتشمل المجتمع الاوسع بكل شرائحه الفعالة وتهدف الى تطوير الافراد وتساعدهم على الادراك والاهتمام بالبيئة ومشاكلها مع تزويدهم بالمعرفة والمهارات والاتجاهات وتزيد من التزامهم الشخصي في ايجاد الحلول المنشودة للمشكلات القائمة حالياً والعمل على عدم حدوث مشكلات غيرها كذلك تساعدهم في المشاركة في اتخاذ القرار ونشر التوعية البيئية .

وقد انطلقت فكرتان اساسيتان لادخال التربية البيئية في المناهج الدراسية ركزت الاولى على اضافة مادة دراسية منفصلة باسم (التربية البيئية) بينما نادت الفكرة الثانية بضرورة ادخال البعد البيئي في المناهج الدراسية كافة خاصة في مجالي المواد الاجتماعية والعلوم الطبيعية . وتركز اليونسكو من خلال البرنامج الدولي للتربية البيئية على الاتجاه الثاني لاسباب عدة تتعلق بظروف اكثرية دول العالم من جهة ولازدحام المنهج الدراسي في مختلف دول العالم بالمواد الدراسية المتنوعة نتيجة للانفجار المعرفي الذي يسود العالم . ولغرض تنفيذ هذا الاتجاه فان البعد البيئي في مختلف المواد الدراسية يحتاج الى مراجعة وتقويم بين فترة واخرى .

ان بناء منهج سليم للتربية البيئية ينبغي ان يجري تخطيطه رأسياً وافقياً فهذا المنهج ينبغي ان يستند على الاستمرارية والتواصل في عمليات التعلم والتعليم بدءاً من رياض الاطفال وحتى المرحلة الجامعية . كذلك فان المواد المختلفة كالعلوم والمواد الاجتماعية ينبغي ان لا يجري تدريسها منعزلة عن بعضها البعض بل ينبغي تخطيط المنهج هلى نحو يساعد التلاميذ على ادراك اهمية العلاقات المتبادلة بين العلوم وبالتالي يساعدهم على فهم افضل للبيئة وعلى فاعلية اكبر في حل مشكلات البيئة . كذلك ينبغي العمل على تكامل وترابط المنهج مع اهداف المدرسة بصفة عامة والتركيز على البيئة المحلية مع

عدم اغفال البيئة القومية والعالمية وكذلك التركيز على تكوين الاتجاهات وتعديلها وعلى تعلم مهارات حل المشكلات . وان يعلب المتعلم دوراً نشطاً في عملية التعلم . فالمتعلم يكتسب الاتجاهات من خلال الخبرات الشخصية والاندماج فيها وليس من خلال تقديم المعلومات الجاهزة والتلميحات المجردة .

ان منهج التربية البيئية يجب ان يسعى الى تنمية الانماط السلوكية الايجابية في المتعلم من خلال الآتي :

1. ان يوفر المنهج المواقف والخبرات التي تتفق مع حاجة المتعلمين وطموحاتهم والفروق الفردية بينهم .
2. تعريض المتعلم للخبرة التي يكتسب في سياقها مهارات العمل البيئي الايجابي .
3. ان يلعب المتعلم دوراً رئيساً في اختيار وتصميم وتنفيذ مشروعات العمل البيئي .
4. ان يكون بناء منهج التربية البيئية كعملية نمو مستمرة فاذا كان الاهتمام في المراحل الاولى موجهاً نحو تنمية الفهم والوعي بالبيئة فانه في المراحل المتأخرة من التعليم يتركز حول اتقان مهارات حل المشكلات .
5. توجيه منهج التربية البيئية نحو سلوك حل المشكلات فيندمج المتعلمون عند تعريضهم لمشكلة بيئية في خطوات واجراءات متكاملة (تحديد المشكلة ، جمع المعلومات ، تعيين الحلول ، اعداد خطة عمل ، تنفيذ الخطة) .
6. ارتباط المنهج بالاهداف السلوكية وفي هذا ينبغي ان يعي المتعلمون بالنواتج التي ينشد تحقيقها كنتيجة للتعرض لخبرة التعلم هذه النواتج ينبغي ان يجري التعبير عنها كأهداف سلوكية .

وفي ضوء ذلك فان المنهج يجب ان يتيح للدارسين العمل خارج اطار جدران القاعات الدراسية الذي كثيراً ما يشار اليه الى مثل هذا الوضع بعبارة (قاعة الدرس على نمط اثنين مضروباً في اربعة) أي غلافي الكتاب وجدران القاعات الاربع . ان الطلبة الذين يتخرجون من مثل هذا الصف لن ينمو لديهم وعي بيئي قوي ولن تكون معارفهم البيئية الا محدودة ولن يكونوا على علم بما في منطقتهم من الموارد ولن يكونوا قادرين على تقصي قضايا بيئية كبيرة الشأن داخل المنطقة ولن يعرفوا كيف يسهمون في حل القضايا الهامة التي تواجههم وتواجه مجتمعهم المحلي .

ان اعطاء المناهج دوراً في تنمية الوعي البيئي يتطلب ان تترجم الاهداف العامة للتربية البيئية الى منهج فعال ومؤثر بحيث توضع للتربية البيئية اهداف تصاغ في عبارات محددة وتتحول بعد ذلك الى خبرات تعليمية يدور حولها المنهج على ان يكون هناك تتابع منطقي للموضوعات البيئية يراعي متطلبات نمو التلاميذ يمر بأربعة مستويات هي :

1. المستوى الاول : وهو مستوى معرفي وفيه يتم التركيز على المفاهيم البيئية وامداد الطلبة بالمعارف البيئية التي تساعدهم على اتخاذ قرارات ايجابية نحو البيئة .
2. المستوى الثاني : في هذا المستوى المعرفي ايضاً ينبغي ان تركز المناهج على المعلومات (الوعي) المتعلقة بأوجه السلوك تجاه البيئة وفيه يمكن ان يتم اكتساب الاتجاهات .
3. المستوى الثالث : وهو مستوى المهارات حيث يتم التركيز على المهرات التي يحتاج اليها الطالب في دراسة قضايا ومشكلات البيئة كما تتضمن عمليات التقويم وتصنيف القيم .
4. المستوى الرابع : وهو مستوى يتم التركيز فيه على مهارات الممارسة واتخاذ الدارسين لقرارات وافعال بيئية .

التربية البيئية في الاسلام :

ان المؤسسات التربوية رغم اهميتها في تشكيل سلوك الافراد الا اننا نجدها عاجزة عن تنمية الوعي البيئي بسبب عدم وضوح المنهج او وجود خطة واضحة ذات اهداف محددة يسهل تحقيقها وغياب مفهوم التربية البيئية لدى تلك المؤسسات ولكننا نجد هذا بان مفهوم التربية البيئية يبدو واضحاً في الفكر الاسلامي الذي تبنى منهجاً تربوياً حدد فيه رؤيته له بأنه ذلك المفهوم والذي هو ذلك النشاط الانساني الذي يقوم بتوعية الافراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها وتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على اساس من مبادئ الاسلام وتصوراته عن الغاية التي من اجلها خلق الانسان ومطالب التقدم الانساني المتوازن .

وفي ضوء هذا للتربية البيئية يجب ان يكون هناك تفاعل ايجابي بين الانسان والبيئة وان يكون ذلك التفاعل شاملاً ولا يقتصر على زمان او مكان معينين ويصبح جهد الانسان موحداً وموظفاً توظيفاً حضارياً وتاريخياً في ضوء العقيدة الاسلامية .

ان الاسلام جعل الانسان هو المحور لا المادة فالانسان هو محور الكون ويجب ان يصبح هدف الحكومات الانسان وليس المادة اذ ان المادة في خدمة الانسان وليس الانسان في خدمتها وهنا يجب الانتقال من ان يكون دليل التنمية البشرية معتمداً على مؤشرات طول العمر والمعرفة والقدرة على التحكم في الموارد الى دليل الرفاهية الاقتصادية الذي يعتمد على متوسط الاستهلاك ومقدار او نسبة التدهور البيئي وعلى هذا الاساس يفترض في تقويم الاداء الاقتصادي التفريق بين التنمية والبيئة بمعنى ملاحظة حساب الموجودات البيئية وتقدير الخسائر البيئية .

من اجل هذا كان لا بد من قانون الهي يرسم للانسان السبيل الذي يبقيه دائماً بانسجام مع الطبيعة وقوانينها الالهية .

فالانسان عندما ينظر الى السماوات والارض يرى الكون العجيب والبيئة المتكاملة في زمانها ومكانها وسائر خصوصياتها كما قال سبحانه وتعالى في سورة الحجر ((ومن كل شيء موزون)) الآية 19 . ان الانسان المتأمل يرى وحدانية خالق البيئة ومنظم شؤونها كما يكتشف ترابطاتها وتفاعلاتها ومدى تجانسها وتكاملها ((

سورة البقرة الآية 22 .

والله خلق هذا الكون لكي يعيش الانسان عيشاً هنياً في كل حاجاته ((

سورة عبس الآية 24 – 34 .

ان اهم ما يميز نظرة الاسلام الى البيئة هو اعطاؤها بعدين اثنين بعد مكاني وبعد زماني وهو مفهوم يختلف عما هو عليه في الفكر الوضعي الذي يقتصر على البعص المكاني فالفكر الاسلامي ينظر الى البيئة ضمن نشاط الانسان في اطار استيعاب كل تجارب الاجيال التي سبقته فتسخير السماوات والارض وما بينهما للانسان كبيئة مكانية وحث الانسان على التأمل والتدبر فيها ينتهي بهذا الانسان الى ان يكتشف وحدانية الخالق كما ان الحفاظ على البيئة المكانية هو شرط الحياة السليمة التي جاء بها الاسلام للانسان .

اما البعد الزماني فيتمثل في الانصراف الى التأمل الواعي في مصائر السابقين من الاجيال ويستهدف عدم الوقوع في اخطائهم والوقوف عند الحدود التي وضعت للانسان فلا يدفعه النجاح في عمارة الارض الى التصرف ضد ارادة الله سبحانه وتعالى .

التوجهات الاسلامية في حماية البيئة :

ثمة اسس وتوجهات عامة لفهم الفكر الاسلامي تخص علاقة الانسان مع البيئة اهمها :

1. تكريم الانسان : ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وكرمه وزوده بالملكات والحواس وميزه عن سائر المخلوقات قال تعالى (( )) سورة الاسراء الآية 70 .
2. العبودية لله : لقد بدأ من تعريف الانسان حقيقته حتى لا يطغى ولا يسيء الى نفسه فطالبه الله بتحقيق مبدأ العبودية فقال (( )) سورة الذاريات الآية 56 . فالعبودية تعني الطاعة والطاعة تعني الالتزام بأمر الله والبعد عما نهى عنه فيقول الله سبحانه وتعالى ((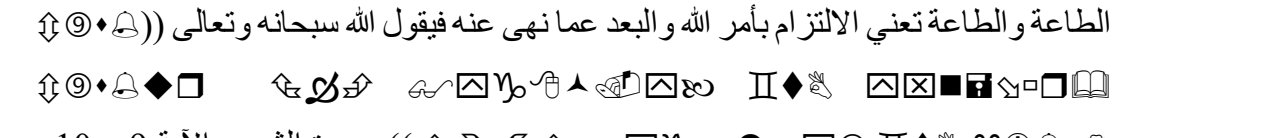)) سورة الشمس الآية 9 و 10 . كما طالب الاسلام بالصلة الراسخة بالله في السر والعلانية ووظف اسلوب الترغيب والترهيب لضبط السلوك من اجل الوصول الى الايمان لان الايمان يعني سلوكاً انسانياً سوياً ايجابياً ففي حين شجع الاسلام كل ما هو مفيد للبيئة الطبيعية والانسانية ، وضع عقوبات على المسيء للبيئة بكل جوانبها وبهذا ضبط دائم لسلوك الانسان نحو الخير والعطار والبعد عن الاثم وهو ما يشكل ركناً من اركان حماية البيئة .
3. خلافة الارض : ومن تكريم الله سبحانه وتعالى للانسان انه جعل الانسان خليفته في الارض((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)) سورة البقرة الآية 20 .
4. عمارة الارض : لم يخلق الله الانسان للعبث بل خلقه لتنفيذ واجب اعده الله من اجله يتمثل في عبادة الله وعمارة الارض فالانسان مكلف تكليفاً شرعياً بعمارة الارض ((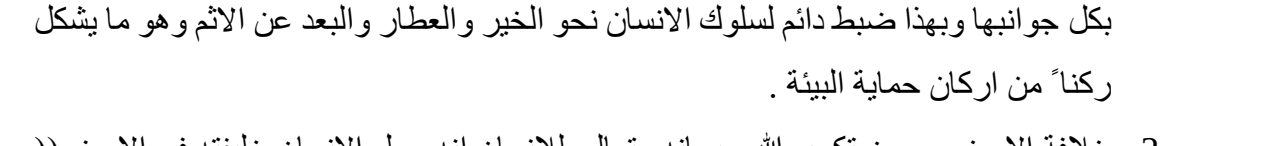)) سورة هود الآية 61 . وهذا يعني احياء الارض الميتة وجاء في رسالة الامام علي (عليه السلام) الى الاشتر النخعي

عندما ولاه مصر (وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ومن طلب الخرج بغير عمارة الارض اخرب البلاد واهلك العباد) .

فنظرة الاسلام للبيئة تتجسد من خلال السماح للانسان باستغلال كافة الموارد من اجل عمارة الارض للقيام بواجبات الخلافة وفقاً للضوابط الاسلامية العامة والاحتكام لقاعدة لا ضرر ولا ضرار والابتعاد عن الاسراف والتبذير .

5. عدم الاسراف في استهلاك موارد البيئة : دعا الاسلام الى الاقتصاد في الاستهلاك ونهى عن الاسراف والتبذير في الماء والطعام والنظافة واستخدام الموارد فقد ذكر الله سبحانه الماء في ثمانين آية في القرآن الكريم لانه اصل الحياة ((وجعلنا من الماء كل شيء حي)) ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاسراف في الماء (لا تسرف في الماء وان كنت على نهر جار) كما نهى عن الاسراف في الطعام حيث قال تعالى في سورة الاعراف الآية 31 ((▪▪◆❐ ☎✂❑➔🖬➔🖹◆❐ ☎✂❑🡐🖃◆❸⬉#✂◆❐ ❹🖬🔍♦↗⑥ ▪▪ ⓵🡐❍❋☼🔍❸ 🗐 ☎✂☑❑➔▫🔍❸⇳❶➔✍ ✂✍☺↘☜✍✂ ♦×✓🔍▫🔍❸⇳❶🡐☺↘☜✍✂)) وفي الحديث الشريف (ما ملأ ابن آدم وعاءاً اشر من بطنه) كما حرم الاسلام الاسراف في النظافة فقد جاء رجل الى الامام الصادق (عليه السلام) قال له : فلان رجل عاقل ولكنه وسواسي فقال له الامام أي عقل له وهو يطيع الشيطان .

كما نهى الاسلام عن الاسراف في استغلال موارد الطبيعة مما يؤدي الى تلويثها او تعرضها للزوال او الحاق الضرر بالاجيال القادمة لذا دعا الاسلام الى تعديل انماط الاستهلاك وتعديل النظام الاقتصادي بحيث لا يكون استهلاك الموارد على حساب الاجيال القادمة .

ان نسيان اوامر الله يلحق الضرر بالانسان اولاً وبالبيئة ثانيـــــــاً ((☎✂❑❶❍■♦ ✂✍♦▫🕯❐❍♦❁☜↘♑🡐 ☠✍✂ ⬀ 🕮❐☼🔳➔❍❁☜♑🡐 ⬀☠🗲&❁❍ 🗐)) سورة الحشر الآية 19 .

6. تحريم العبث : حرم الاسلام العبث في موارد الثروة وعناصر البيئة . وقد وضع الله للكون نظاماً خاصاً والخروج عن هذا النظام يسبب الفساد ((🡐♑♦❷🖂♦♑ ✂✍☜↘☜✍〰❸🖂☜↘☜✍✂ ❼🔍✖ ✂✍☜↘☜✍⑩🡐 ✂✍☜↘☜✍✂◆❐🖃❷⇔♦◆⌨↘☜✍✂◆❐ ⇳💣◆⌛❁❍☒✍ ✍🖂☺🔍✍ ☠🡐♑♦◑③✍❶↖❶🔍☜ ✂✍☜□✍□☪☜✍✂ 🕮❐③⬂⑨🔍❽ ✂✍✍✈🖉✍✂ ❽🔍🕭✈🖉✍✂ ☎✂❑➔🖬🔍🖗☒🗲 ◆✈⬂➔◆✍ ❽🔍🕭✈🖉✍✂ ☎✂❑➔🖬🔍🖗☒🗲 ☜✍➔♦☜ ⬀☠🡐♑❋🖬🖂➔♦☜ ③◆❷⬀🡒❑↖➔🡒♉⬀☠🗲♑❋)) سورة الروم الآية

41 . فالفساد مطلقاً حرام في الشريعة الاسلامية ولكن بعد الاصلاح يصبح اشد حرمة ((
⮘⮛⬀❻☞❁✍✁ ⑥⬀× ☎✁❒⬅⑨⬀❍⬀⬇➔✍ ••◆❒
⬀☠➔⌛⬀♑⬀◷⧫❶ 🗐 ✍⊠♑⬀⧫◷■⬀⇳◷⬀◑ ⊠⑨⬀➔⧫⬀
⬀▫✓⬀☪⬀⬀⬀⧫❿⬀ ⚐⬅☞☪➔🗎 ♌⬀◑ ⬀☠⬀🗏⬀♑ ⬀❸⬀❷⊠⌘
⮘⬀⬀⬀)) سورة الاعراف الآية 85 . ان هذا الادراك في حقيقة الامر تعبير عن حس انساني سليم وفهم كامل لروح الاسلام في احترام مكونات البيئة كما نهى الاسلام عن العبث في موارد الثروة وتلويثها فقد اهتم الاسلام في حماية البيئة من ادنى درجات التلوث حتى وان كانت مجرد (روائح كريهة) فقد نهى الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – عن اكل الثوم بشكل عام (من اكل البصل او الثوم او الكراث فلا يقربنا ولا يقرب مسجدنا) وعن الامام علي – عليه السلام – قال (من اكل شيئاً من المؤذيات ريحها فلا يقربن المسجد)

كما نهى الاسلام عن تلويث المياه فقال سبحانه في سورة الفرقان الآية 48 ((🗐
⬀⬀✐✍⊠☺❍❍♑✍✁ ⌘♊⬀⬀ ✍◆☪⬀♑⧫❽☼❒🕮◆❒
⬀◆⬀ ☯⬀✐✍⧫⬀ ✁✡❻❑⬅♑⧫☪ ⮘⬀⬀⬀)) فقد كره الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – البول في الماء الجاري او الراكد كما نهى امير المؤمنين ان يبول الرجل في الماء الجاي وقال (ان للماء اهل) وفي حديث المناهي ان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – نهى ان يبول احد في الماء الراكد فانه يكون منه ذهاب العقل .

ومسؤولية الانسان كبيرة نحو البيئة فقد قال الامام علي – عليه السلام – (فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) . فالانسان مسؤول عن الارض وعمارتها ونظافتها وسيأتي اليوم الذي تتكلم فيه الارض عما جرى لها ((◑⬀❶⧫✁ ⬀⬀⬀♑⬀❽⬀♑⧫⬀⬀
⮘⬀⬀ ✍❑●❍▭✁⧫❽⬀♑⬀⬀ ⬀⮛⬀❻☞❁✍✁
⬀⮛⬀❻☞❁✍✁ ⬀⬀⊠♉⧫❷⬀⌘❒🕮◆❒
⧫✌✍⧫🔔◆❒ ⮘⬀⬀ ✍⊠♑⧫♑✍⧫◑⬀⚐❒🕮
🖮⓿⬀⬀⧫⬀⬀❑⧫③ ⮘⬀⬀ ✍❑●❍▭ ✍⧫⬀ ⬅♊◷✿❍☼⬀"✍✁
❑♌❒⬀⬀⬀ ⮘⬀⬀ ✍⊠♎◆❻✍⧫🖮⬀⌘❒🕮 ⬅♈⬀♎⑨◘⧫⬆⬀
❻◆⬀✸①⬀🕮❒❒⬀❒⊠⬀🗐 ♑⧫♑⊠✍ ⮘⬀⬀)) الزلزلة الآية 1 – 5 .
فان الله يوحي الى الارض ان تتكلم عما وقع عليها من طاعة وصلاح او معصية وفساد .

7. حفظ توازن مكونات البيئة : ان الضوابط الشرعية تضع حدوداً لعلاقة المسلم ببيئته بحيث تضمن التوازن العام دون انتقاص من حق الفرد في الانتفاع منها ودون الافساد فيها وتعريض مصلحة الاجيال المقبلة للخسائر . فالله سبحانه وتعالى خلق الكون في توازن دقيق

(( ) سورة الحجر الآية 19 . فالبيئة احكم الله صنعها كسائر ما خلق ((صنع الله الذي اتقن كل شيء)) سورة النحل الآية 88 . وخلق الله غاية في الدقة والاتقان (( ) سورة الغاشية الآية 17 – 20 .

8. ان الاسلام أرسى لذلك الاسس والمبادئ التي تحقق سلوكاً بيئياً سليماً ومتوازناً من منطلق دعوته الى الاعتدال ونبذ الاسراف والحث على التعلم والنظافة ورعاية الاحياء النباتية والحيوانية وعدم تدميرها واهلاكها .

لذلك اوصى القرآن الكريم بضرورة انتهاج السلوك الرشيد في الحفاظ على البيئة وعدم افسادها (( ) سورة القصص الآية 77 .

9. تنمية موارد البيئة : حث الاسلام على تنمية موارد البيئة فقد وضع الاسلام قواعد ايجابية في استثمار الاراضي والانتفاع بها وبذلك يقضي الاسلام على مشكلة كبيرة تعاني منها شعوب كثيرة الا وهي مشكلة التصحر نتيجة اهمال الاراضي الزراعية فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – (من كانت له ارض فليزرعها ، او ليمنحها اخاه فان ابى فليمسك ارضه) .

وفي مجال التنمية الاقتصادية فان النشاطات الانسانية في مجال الانتاج والتنمية والتوزيع تحكمها قاعدة الحلال والحرام فالحلال هو ممارسة النشاطات النافعة للبيئة الطبيعية والانسانية والحرام هو النشاطات التي تؤذي البيئة الطبيعية والانسانية ومن هنا نظر الاسلام الى الانتاج النافع كواجب وبهذا فان الاسلام ينظر الى الصناعة ضمن منظور مدى ضررها على البيئة . فالرسول الكريم يقول (لا ضرر ولا ضرار) . كما وضع الاسلام حداً للتدهور البيئي الناتج عن الفقر حيث نظر الاسلام الى الفقر على انه خطر على العقيدة وخطر على الاخلاق وعلى الاسرة والمجتمع فوضع علاجاً للفقر من خلال

فريضة الزكاة حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – (ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به) .

وقد اولى الاسلام عناية خاصة بالتنمية الزراعية وجعل الاهتمام بها عبادة فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – (ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة) . وقوله – صلى الله عليه وآله وسلم – (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فليغرسها) .

ان هذه التوجهات الاسلامية لحماية البيئة وتنميتها ادت الى وضع ضوابط لتعامل الانسان مع نفسه ومع بيئته كما نظمت العلاقة بين الانسان وموارد الارض ودعته الى حمايتها والحفاظ عليها وسخرت لتحقيق تلك الغايات تربية شاملة ممتدة مدى الحياة لتهذيب سلوك الانسان وجعله يحمل حساً بيئياً سليماً .

اهداف التربية البيئية في الفكر الاسلامي :

تهدف التربية البيئية في الاسلام الى :

1. تنمية الوعي البيئي لدى الانسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤيا الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يعزز دوره في الارض باعتباره خليفة الله فيها .
2. تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الاسلامية لدى المسلم حتى يستطيع استغلالها بصورة نافعة تمكنه من مواجهة مشكلاتها .
3. تنمية قدرة الانسان المسلم على تقويم اجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من اجل تحقيق تربية بيئية افضل .
4. ايجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة .
5. فهم الانظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الانسان المسلم بقضايا التلوث .

القيم البيئية الاسلامية :

هي مجموعة الاحكام المعيارية المنبثقة من الاصول الاسلامية والتي تكون بمثابة موجهات لسلوك الانسان تجاه البيئة تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الارض .

تقسم القيم البيئية في الاسلام الى :

1. قيم المحافظة : وتختص بتوجيه سلوك الافراد نحو المحافظة على مكونات البيئة ومواردها .
2. قيم الاستغلال : وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الافراد نحو الاستغلال الجيد للموارد البيئية وتتضمن عدم الاسراف وعدم التبذير والتوازن في كل شيء حيث يدعو الاسلام الى الاعتدال بدون افراط ولا تفريط .
3. قيم التكيف والاعتقاد : وهي القيم التي تختص بتوجيه سلوك الافراد نحو التكيف مع بيئتهم ونحو تصحيح معتقداتهم البيئية السلبية تجاهها .
4. قيم جمالية : وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الافراد نحو التذوق الجمالي لمكونات البيئة اذ قال تعالى في سورى الحجر ((ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين)) وتبين الآية عظيم صنع الله ودقته وعظمة الصانع الذي خلق كل شيء جميل اذ قال الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – (ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

واستناداً الى هذا المنظور وفي سياق واقعنا البيئي المعاصر صدر اعلان جدة للبيئة من منظور اسلامي تضمن المقررات الآتية :

1. تأصيل المفاهيم الاسلامية بشأن التوازن البيئي من منطلق العدل والاحسان والاحتساب القائم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجالات البيئية كأساس للتعامل مع القضايا البيئية وحمايتها في العالم الاسلامي .
2. تبني المفهوم الاسلامي فيما يتعلق بانماط الانتاج والاستهلاك المتوازنة بيئياً واستخدام اساليب التقانة الملائمة بيئياً .
3. التأكيد على تبني الاجهزة البيئية في الدول الاسلامية المنظور الاسلامي للبيئة وتطويره لما يتناسب مع القضايا البيئية المعاصرة .
4. سن الانظمة والقوانين البيئية وتطويرها انطلاقاً من المنظور البيئي للاسلام .
5. تشجيع الباحثين المتخصصين في مجالات العلوم البيئية وعلوم الفقه والشريعة على التعاون لتأصيل المفاهيم الاسلامية للبيئة .
6. التأكيد على دور التربية البيئية والوعي البيئي وخاصة فيما يتعلق بالنشيء لتأصيل السلوك السليم للتعامل مع البيئة .
7. العمل على رفع الوعي البيئي من منظور اسلامي لدى الاسرة المسلمة .
8. التأكيد على واجب المسجد لرفع الوعي البيئي .
9. التأكيد على دور وسائل الاعلام المختلفة في التوعية البيئية .
10. التأكيد على المنظر الاسلامي للبيئة في مناهج وبرامج التعليم في المدارس والجامعات

11. دعم الجمعيات والهيئات غير الحكومية للعمل في مجالات البيئة .
12. تشجيع اقامة الندوات والمؤتمرات وخاصى تلك التي تتعلق بعمارة الارض واصول العمران واسقاط ذلك على القضايا المعاصرة في المجتمعات الاسلامية .
13. الاهتمام بقضايا التصحر وندرة المياه ونوعيتها والتنوع الحيوي مع ترتيب اولوياتها وتقديم الدعم اللازم لها .
14. التعاون مع الجهات الدولية المتخصصة وخاصة برنامج الامم المتحدة للبيئة وبرنامج الامم المتحدة الانمائي من اجل تنفيذ البرامج الهادفة لتحسين الاوضاع البيئية في العالم الاسلامي .
15. الاستفادة من مصادر التمويل العالمية لدعم مشروعاتها ونشاطاتها البيئية .
16. دعوة الدول الصناعية الى تحمل مسؤولياتها التاريخية تجاه الخلل الخطير للبيئة العالمية التي تسببت فيها خلال مسيرتها التنموية ودعوتها لمراعاة ظروف الدول النامية وخاصة الاسلامية منها عند تبني اجراء حماية البيئة .
17. الدعوة الى الغاء التحيز ضد صادرات الدول النامية وخاصة الاسلامية وعدم الحدمن قدراتها التنافسية في الاسواق العالمية
18. حث الدول الاسلامية للتعاون في مجال الاعلام البيئي والبحث العلمي وتبادل الخبرات البيئية .
19. الدعة الى توضيح المنظور الاسلامي فيما يتعلق بابحاث الهندسة الوراثية التي تؤدي الى تغيير خلق الله والاضرار بالانسان والبيئة .
20. التصدي لاية محاولة لاستخدام اراضي الدول الاسلامية ومياهها للتخلص من المواد والنفايات النووية الخطرة .

التربية الخلقيـــة

1 – مفهومها

لا يزال علم الاخلاق في موضوعه وغايته ومنهج البحث فيه ، مثاراً للجدل والخلاف بين الباحثين ، لان طبيعته وعلاقته بغيره من العلوم ، وهي علوم تتطور مع الزمان ، وارتباطه بانماط السلوك ومختلف الاحكام القيمية لدى الانسان ، يجعل من الصعوبة تعريفه تعريفاً دقيقاً ، او جامعاً مانعاً كما يقول المناطقة . وهو يقوم على مجموعة من المفاهيم التي تثير الجدل الاختلاف بين المشتغلين به ، فمن ذلك موقفهم من ماهية الخير ، والباعث على الفعل الارادي ، وغاية السلوك الاخلاقي ، وطبيعة الضمير ، ومصدر الالزام الخلقي .. الخ .

ونحن اذا اردنا ان نلقي الضوء على اصل هذا العلم في اشتقاقه اللغوي لوجدنا ان اللفظ الدال على علم الاخلاق في الانجليزية (Ethics) مشتق من الكلمة اليونانية الاصل(Ethos) ، بمعنى عادات او اعراف ، ومن اجل ذلك قيل انه ينصب على قواعد السلوك واسلوب المرء وطريقته في الحياة ، وينصب على بحث عادات الناس والعرف القائم بينهم ، او بعبارة اخرى يعرض لدراسة اخلاقياتهم ويعالج النظر في المبادئ التي يتصرفون طبقاً لها ، نتيجة لهذا فقد نشأ الخلط بين علم الاخلاق نوعاً من فروع الفلسفة (فلسفة الاخلاق) (Etuics) ، وما يمكن ان نسميه بالآداب العامة (Morals) او الاخلاق الاجتماعية .

فالآداب العامة (Morals) : تطلق على مجموعة الآداب التي قامت على اساس التراث والعادات والعرف والتقاليد ، او مجال الاخلاق الاجتماعية التي تعكس اساليب التربية الخلقية المختلفة التي تحدد الصواب والخطأ والواجب ومختلف الفضائل التي ينشدها المجتمع لافراده ، من دون ان ترجع الى تحليل عقلي ولا الى تفكير فلسفي عميق ، فهي تخلو من عنصر التنظير وتختلف باختلاف الزمان والمكان .

فلسفة الاخلاق (Ethics) : وتهتم بدراسة قواعد السلوك والمبادئ الخلقية دراسة عقلية خالصة للوصول الى جذورها الاولى ، أي انها تحاول ان تصل الى معرفة الاسس التي ترتكز عليها هذه الفضائل الاخلاقية ومعرفة المبرر على سبيل المثال : لا تسرق ولا تكذب ، او ارحم الضعيف والتزم بقول الحق .. الخ ، ففي مجال فلسفة الاخلاق ، نقول : لماذا يجب عليً ان اكونا ميناً ، وان اقول الصدق .. الخ .

وكثيراً ما يصف الباحثون التفرقة بين هاتين الدلالتين لكلمة (الاخلاق) بانها تفرقة بين اتجاهين واضحي المعالم في مجال البحث في هذا العلم ، وهما الاتجاه المثالي والاتجاه الوضعي ، الاول يمثل الاخلاق بالمعنى الفلسفي (Ethics) ويبحث في المبادئ العامة للعقل البشري لتحديد القيمة الحقيقية للغايات النهائية للسلوك البشري ، اما الثاني فيعني مجموعة القواعد والقوانين الاخلاقية التي يقرها مجتمع معين في فترة زمنية محددة ، ولا بد ان ننوه الى ان الاخلاق الاجتماعية (الآداب العامة) لا تتعارض مع الاخلاق الفلسفية بل ربما كانت اصلاً لها ، وكل ما في الامر ان الفلسفة تحاول ان تجعل للاخلاق اساساً من البحث العقلي في طبيعة الانسان المركبة ، وتحدد له غاية عليا عليه ان ينشدها وبذلك تصير (الاخلاق الاجتماعية) اخلاقاً واعية ، ففلسفة الاخلاق لا تحدد للانسان طريقة تصرفاته في كل موقف ، ولكنها تهدي دارسيها الى طبيعة الاتجاه السوي ، وتترك لهم حرية الاختيار والتصرف في ضوء المعايير الاخلاقية والشروط العامة المطلقة التي لا يحددها زمان ولا مكان ، أي انها لا تعرض لتحديد السلوك القويم ازاء الحالات الجزئية التي تتدرج تحت القانون العام ، لان مرجع الامرين هذه الجزئيات الى حاجات العصر وثقافته ، وفلاسفة الاخلاق لا يتجاوزون تحديد المبادئ العامة التي تقدير السلوك الذي ينبغي اتباعه في الحالات الجزئية .

وعلى ذلك يمكننا القول ان الاخلاق علم نظري وعملي معاً ، فهي دراسة عقلية تهدف الى فهم طبيعة المثل العليا التي نتعامل بها ونستخدمها في حياتنا اليومية من دون اغفال للغايات المنشورة في مجال الحياة العملية .

اما هادفيلد (Hadfield) فيذهب مذهباً يرى فيه ان هناك معنيين عريضين لمصطلح الاخلاق ، احدهما بمهنى الامتثال (Conformity) لمعايير المجتمع وعاداته ، والمعنى الآخر هو اتباع الغايات والاهداف الصحيحة . وطبقاً لذلك ، فان النوع او المعنى الاول يجعلنا آلياً نتبع العادات وتمثل السلوك الجماعي ، ونرعى التقاليد الاجتماعية طبقاً للمعنى الثاني ، فان الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والامانة ، تعد خبرة في ذاتها وينبغي اتباعها بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره . ويستخدم احياناً اصطلاح الخلق ليعني السلوك الخلقي ، ولكن اصطلاح الخلق يشير الى درجة التنظيم الخلقي الفعال ، ويشير الى الاستعداد الذي يقمع البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمي معين . ومعنى هذا الاشارة الى الاخلاق لخلق داخلي يكمن في الفرد نفسه ، وهكذا نرى ان اصطلاح الخلق يشير الى سمات الشخصية اكثر من اشارته الى الاخلاق التي تتضمن قوة ارادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم . علماً بان القيم الخلقية تختلف من مجتمع الى آخر ، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر الى آخر ، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ومع ذلك فان هناك بعض المبادئ الخلقية المطلقة العامة التي تصدق في كل مكان وزمان ، كالصدق والامانة والنخوة واجتناب المحارم .

وينتج عن هذا التحديد للموقف الاخلاقي ان القيم الاخلاقية ، تتضح عندما يكون هناك شيء يجب ان يعمل ، لان هذا العمل هو الذي يؤدي الى اكتشاف الخير اللازم لتحديد هذا الموقف المعين وابرازه والحصول عليه حتى يقضي على انواع الصراع والحيرة والتردد . فالفضائل والقيم الخلقية ليست مخزوناً من هذه القيم فحسب ، ولكنها عملية تتصل بالمواقف وتؤدي الى قضاء الفرد على اضطراب السلوك ومن ثم الى اعادة سيره مرة اخرى سيراً طبيعياً .

وينتج عن هذا ايضاً ان تتصل الاخلاق بالواقع الذي يعيش فيه الانسان فلا تكون مجرد شيء خارج عنه ، أي ان الاخلاق لا تصبح قائمة من القواعد التي يجب ان تطبق من دون تفكير ، وانما دخول التفكير فيها وقيامه بعمله في ميدانها هو الذي يعطيها قيمة اخلاقية .

ومع كل ما تقدم تبقى الاجابة عن الفعل الاخلاقي ليست بالسهلة ، أي ان الجوانب ليس صعباً فحسب ، وانما هو من اشد المشاكل الفلسفية التي واجهها الانسان تعقيداً ، فمنذ الآف السنين ولحد الان لم تتفق آراء فلاسفة العالم على ذلك .

2 – الاخلاق الاسلامية

اهمية الاخلاق في الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير خلق الله واكملهم اخلاقاً المبعوث بالحق نبياً محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين من كل خطأ وزلل الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

علم الاخلاق يعدّ من امهات المسائل الاجتماعية بل الاخلاق اساس المجتمع ، لان المجتمعات والشعوب باختلافها وقيمها لا بحضارتها وقدمها ، ولولاها انعدمت الحياة المدنية واصبحت غابة يسودها القوي ، والضعيف فيها منسحق .

والثابت ان الاخلاق هي المعيار والضابط الذي يقاس به ، لان المتتبع لسيرة اهل البيت (عليهم السلام) ورواياتهم يجد ان حسن الخلق هو سبب دخول الفرد الى الجنة هذا في دار الآخرة ، واما في الدنيا فهو سبب لرقي الانسان الى ذروة الكمالات ، بعد هذا ان رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما يعرف للانسانية بعد انغماسها بالحيرة والضلال والفساد قال : (انما بُعثت لاتمم مكارم الاخلاق) لانه يدرك حقيقة الآخرة ومدى تأثيرها في المجتمع المتفسخ خلقياً كالمجتمع الجاهلي آنذاك .

ولاهمية الاخلاق ودورها الفاعل في النفوس نرى ان الله سبحانه وتعالى اثنى على نبيه الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسن الخلق حيث قال : ((القلم الآية (4) .

في حين ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الانسان المعصوم الكامل في كل شيء وعلى الرغم من هذا الكمال المطلق فالله سبحانه وتعالى اختار لمناغمة حبيبه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدح نجيبه بعبارة وجيزة عالية المضمون سامية المعنى الا وهي ((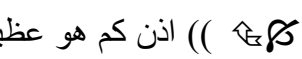)) اذن كم هو عظيم حسن الخلق لكي يختاره الله على جميع الصفات والكماليات النبوية .

فضلاً عن ذلك فقد اثبتت التجربة على مر العصور والازمان ان صاحب الخلق الرفيع يخلد باخلاقه وتترنم به الاجيال مدى الايام والاعوام . وكذلك سيّئو الاخلاق اصبحوا لعنة على شفاه التاريخ لوعورة اخلاقهم وغلظة قلوبهم .

فالاخلاق تعد من الاسس المهمة بمكان لبقاء المجتمعات ، لما لها من تأثير كبير في سلوك الفرد والمجتمع ، ولذلك اهتم بها الاسلام واهتمت بها الديانات السماوية الاخرى واكدتها ، داعية الى وجوب التزامها منهجاً وسلوكاً حتى يستقيم امر الناس والمجتمعات . ونظر الاسلام للاخلاق على انها ثمرة الايمان بالله ، والالتزام بدينه الحنيف ، وهي ثابتة لا تتحول ولا تتبدل ، لانها جزء من العقيدة الاسلامية ، ولان امر تقديرها لم يترك لاهواء الناس وامزجتهم ومصالحهم الضيقة بل حددته الشريعة الاسلامية .

فالاخلاق الحميدة هي اخلاق الرسل (عليهم السلام) ، والتربية الخلقية هي ركن عظيم لا قيام للدين بدونه .

فالاسلام يدرك ان للاخلاق اهمية بالغة في سعادة المجتمع وشقائه ، فكلما كان المجتمع متماسكاً بالاخلاق الفاضلة كان استقراره وامنه متحققاً ، وكلما ابتعد المجتمع عن الاخلاق الفاضلة تحول الى الاخلاق السيئة وزاد شقاء المجتمع ، واضطرابه وعدم استقراره . ولهذا فان للاخلاق الفاضلة اهمية كبيرة تتجلى في :

أ – تنمية الوازع الداخلي عند الانسان فالاخلاق ضرورية للافراد والمجتمعات ولا تغني عنها القوانين والانظمة ، لان من لم تردعه نفسه لا تردعه القوانين .

ب – تدفع الانسان الى القيام بالاعمال على الوجه الذي يرضي الله تعالى ، فيصدق في اعماله ، ويحافظ على وعوده ، وغير ذلك من كريم الاخلاق .

ج – تجعل المجتمع نقياً من اسباب المفاسد والشرور ، ذلك ان كل فرد من افراد المجتمع يقوم بما هو مطلوب منه على الوجه المطلوب ، فلا يكون هناك مجال للنزاع والشجار .

الاخلاق في فلسفة التربية الاسلامية :

لقد جسد الدين الاسلامي الحنيف القيم الروحية في توجيه المؤمن من الفردية والانانية الى الجماعية والغيرية والاخلاقية ، وحدد ابعاد القيم الروحية من المعاني والمثل الانسانية من تقديس حق الحياة الانسانية والعدالة الاجتماعية وحرية الملكية التي تؤدي وظيفتها في غير تحكم واحتكار او اثراء على حساب الغير ، والاحسان الذي يؤدي الى التكامل الاجتماعي والتقارب الطبقي، الا الايثار والبذل والتضحية في سبيل القضايا الوطنية والانسانية ودفاعاً عن الفضيلة .

ويهتم الاسلام اهتماماً بالغاً بمبادئ الاخلاق ويعدّ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة المسلمين في هذا الصدد ، وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه على خلق عظيم ، ويقول عن نفسه انه الرسالة الالهية لاتمام مكارم الاخلاق ، ويُعلي الاسلام من قيمة العنصر الاخلاقي في الحياة . ولشدة اعتزاز المسلمين بالاخلاق ، فانهم آمنوا بان التربية تكون دون شك ناقصة اذا اهتمت بكل شيء وتركت الاخلاق ، فالتربية الكاملة هي ما اتخذت الاخلاق اساساً ونبراساً ، فان لم ترم التربية الى تهذيب الاخلاق فلا كانت . فمعظم فلاسفة المسلمين يرون ان الخلق حال او هيأة للنفس تصدر عنها الافعال بلا روية ولا تدبير . فالاحسان ميل نفسي يحمل صاحبه مع النبل والعطاء في جميع الظروف من غير روية ولا تفكير . وذلك هو رأي معظم فلاسفة المسلمين في الخلق . ومن اعلام هذا الرأي

الغزالي وابن مسكويه ومحيي الدين ابن العربي . ولا غرابة في هذا الاتجاه الخلق الواضح عند فلاسفة المسلمين ، فمن ابرز اغراض التربية لديهم تهذيب النفس ، وتحصيل الفضيلة .

ويعلل احد الباحثين تلك الحقيقة ، بان الاسلام عندما يريد في فلسفته التربوية ان يذهب بالانسان نحو الاخلاق الحسنة ، وبعبارة اخرى نحو القيم الانسانية العالية ، فانة يلفت نظره الى اعماق نفسه ، ويدعوه الى التأمل في حقيقة الوجود وكشفها ، وحينئذ يرى الانسان نفسه ويشعر بشرفه وكرمه ، فمن ذلك ينبع الالهام من دون حاجة الى الدرس ، يعني ان يفهم ان الحقارة والدناءة ، والخسة لا تتلاءم مع هذا الجوهر العالي والشريف ، ولا يتلاءم منها الكذب والنفاق وقلب الحقائق والفحشاء ، وامثال ذلك ، وهنا يصح القول ان الانسان يستلهم من معرفة النفس والتوجه اليها الالهامات الاخلاقية ، اذاً فليس من الضروري ان يدرس الشخص هذه الالهامات ويتعلمها ويسمعها بأذنه ، بل انه بمجرد ان يشعر بـ (نفسه) الحقيقية ، يدرك انه ينبغي عليه ان يصنع كذا ، ولا ينبغي ان يصنع كذا ، وهذا معنى قوله تعالى : ((

سورة الشمس آيات 7 – 10 .

ان النفس الانسانية تحتاج الى التأديب والتهذيب والترغيب والترهيب . قال تعالى : ((

يوسف الآية 53 .

قال رسول الله (سلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان رجع من احدى غزواته : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر – يعني جهاد النفس - .

وكل انسان يمكنه اصلاح نفسه وتهذيب اخلاقه ، فالخلق يمكن تبديله وتغييره الى الافضل والاحسن ولولا ذلك ما اجتهد الانبياء والاولياء والحكماء في الدعوة الى مكارم الاخلاق ، وينبغي للعاقل ان يطلب الفضائل فيسعى الى القناعة والحلم والمسألة والصبر والسخاء والعضو والتودد والتواضع ، وينبغي للعاقل ان يبتعد عن الرذائل ويتركها فيبتعد مثلاً على التكبر والغضب والبخل والغيبة والكذب والجبن والنميمة .. الخ .

وينبغي للانسان دائماً ان يحذر الدنيا وما فيها من الشهوات والمحرمات ويتذكر النعيم العظيم الذي سيحص عليه ان هو ابتعد عن المحرمات وسار على طريق الطاعة والاستقامة .

وباحث اسلامي آخر يجد ان الهدف الاخلاقي مطروح في صلب التربية الاسلامية ويسعى هذا الهدف في ضمن ما يسعى الى اليه ، الاهتمام باقامة علاقة انسانية بين الافراد ، والتعاون في اعمال الخير والتضحية والايثار في الحالات اللازمة ، والتعاضد والتكامل الاجتماعي ، وترسيخ روحية حب العدالة والمساواة ، واستئصال الجور والتمييز ، والرغبة في الاهتمام بامور المسلمين ، والاخوة مع المؤمنين والنصيحة للعامة ، والدفاع عن المظلوم والوقوف بوجه الظالمين ، والسعي لاصلاح ذات البين ، والشعور بالالتزام تجاه الناس والدعوة الى الخير والتواصي بالصبر ، ورفع العدوان وذمة ، وقمع المعتدي ، والحكم بالحق والعدل والقبول بالحق وان كان فيه ضرر ، وتقوية روح التفاهم والادراك والسعي في ارشاد وهداية الناس والرأفة بالناس ، ومراعاة الانصاف في التعامل ، والمشاورة وتبادل الآراء وتجنب الاستبداد .

فالغرض من التربية الخلقية في الاسلام : هو تكوين رجال كريمي الاخلاق اقوياء العزيمة مهذبين في اقوالهم وافعالهم ، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم ، وديدنهم الحكمة والكمال والآداب والاخلاق والطهارة . فروح التربية الخلقية الاسلامية هي التربية الخلقية وان الغرض الخلقي الذي يجب ان يرمي اليه المربي كما اجمع فلاسفة التربية الاسلامية هو الغرض الحقيقي في التربية على ان لا يقال من التربية الجسمية او العقلية ، ولذلك فان التربية الاسلامية توجب على المدرس دائماً تكوين العادات الحسنة وتهذيب الاخلاق لدى المتعلم وتقوية ارادته ، وتربية حواسه وتوجيه ميوله النظرية الى الطريق الصحيح وذلك من خلال الدروس المعطاة للطلبة .

لذلك فان الاخلاق احدى غايات التربية في الاسلام وانها وهي لا تفصل الفرد عن واقعه الاجتماعي ، ولا تقطع صلته بماضية وتزامنة وحاضره ومستقبله . وليست التربية اخلاقياً هروبية من عالم الواقع الذي نحياه بكل تفاعلاته الى عالم المثل المنفصل عن هذا الواقع فالاخلاق الاسلامية يكمن فيها الوفاق التام بين منفعة الفرد ومنفعة الجماعة لسبب بديهي هو ان الفرد العنصر المكون للمجتمع .

من كل ما تقدم نجد ان الدين الاسلامي قد تبنى في دعوته الخلاقة جميع الصفات الكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الانسان وترفعه الى ارقى مدارج الكمال ، فقد عنه بتهذيب الضمير ، واصلاح النفس ، ونكران الذات ، واشاعة الفضيلة واسداء الخدمة والنفع للناس ، فخير الناس من نفع الناس ، كما في الحديث .

ان الطاقات الندية الخلاقة التي فجرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورفع شعارها قد خلقت امة كريمة رفعت رسالة الله تعالى وابلت في سبيله بلاء حسناً ونورت العقول وانارت الطريق ، وهدت الامم والشعوب وبنت لها حضارة قائمة على العدل الخالص والحص المحض ، وكان شعارها

احبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره لغيرك ما تكره لنفسك ، كما كان شعارها الامن والرخاء لجميع الناس .

وهنا يأتي دور الفلسفة التربوية الاسلامية في توجيه النظام وتأصيل مدخلاته ، بما ينسجم مع الفكر الاسلامي وفلسفته في الحياة ، من اجل تكوين نموذج فكري لدى الافراد ، يعزز منهم الولاء لله ولنظام الاسلام والانتماء للمجتمع ، واتخاذه اسلوب حياة ، يمكنهم من اقامة حضارة متفوقة تفوق النموذج الحضاري الغربي ، وما يحمله من معطيات لترد الغربة عن ابنائها وتصونهم من الانبهار الحضاري الغربي ، الذي عادة ما يعقيهم عن التأمل ويضعهم في اطار الاستسلام ، وليس هذا الامر ببعيد ولكنه بحاجة الى اخلاص النية لله ، والعمل من اجل بلوغه وبالرجوع الى الاسلام في تنظيم شؤون الحياة ونظمها ومؤسساتها داخل المجتمع ، فاننا نكون قد وضعنا الركيزة الاولى في انطلاقة جديدة تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، اصالة تحفظ لنا الذات متجددة ومبدعة ومعاصرة تحقق لنا التكيف والتوازن مع المعطيات الثقافية على الدوام .

ومن خلال ما تقدم يتضح ان الجانب الاخلاقي يعد اهم عناصر الفلسفة التربية الاسلامية ، التي تهدف الى تربية الفرد التي تتكامل في تكوينه الجوانب المادية مع الجوانب الروحية بحيث لا يطغى فيه الجانب المادي على الجانب الروحي وبالعكس .

اننا قبالة هذا لا زلنا نبحث عن هذه التربية ، فالتربية المستندة الى فلسفة قيمية لاصلاح المجتمع واصلاح اعمال الناس ، ويتوجب عليها اصلاح جذور الاعمال الاخلاقية ، لان اغلب الاعمال تعتمد على الجذور الاخلاقية ، وعلى هذا كان اكثر سعي الانبياء (عليهم السلام) والمصلحين الاجتماعيين الاسلاميين يصب في هذا السبيل ، ولانه بالتربية الصحيحة ، تنمو وتتبلور الفضائل الاخلاقية في كل فرد من افراد المجتمع ، وتصل الرذائل الى اذى الحدود ، وبذلك يمكن اصلاح الاعمال التي تترشح من الصفات الاخلاقية .

الاساليب الاسلامية في تنمية القيم الخلقية :

ان تنمية القيم الخلقية لدة المسلم تعتمد على فطرة الانسان وما زود به من استعدادات فطرية للتعلم والتخلف ، ثم يأتي بعد ذلك عملية اكتساب الاخلاق من المجتمع المحيط في اطار التنمية المتكاملة المتوازنة لكامل شخصية الانسان من خلال الجوانب الروحية والوجدانية والعقلية للانسان وحواسه . لقد اتى الاسلام لا ليصطدم مع الطبيعة البشرية بل ليضبطها ويقوم سلوكها ، فاهتم ببناء الايمان في نفوس الناس ، وتصحيح علاقة الانسان مع نفسه ثم مع من حوله من الناس ، ثم بما حوله من مخلوقات . واهتم

بمعالجة الانحراف الخلقي ، وحذر من مغبة الوقوع فيه وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، وهو بذلك يقصد ابعاد المسلم عن الاخلاق السيئة بما يضارها وهي الاخلاق الحسنة .

وقد بنى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القيم الخلقية في النفوس المسلمة في ضربه المثل الاعلى ، والقدوة الحسنة من ذاته نفسه ، ومجالسه ، وتوجيهاته واستخدامه الطرق كافة في سبيل امتثال السلم لهذه القيم .

ولتنمية القيم الخلقية الاسلامية في المجتمع الاسلامي عدة وسائل منها باختصار شديد :

1 – العبادات : فالعبادة هي الاسلوب العملي في تربية الانسان روحياً وبدنياً واجتماعياً وعقلياً ، ولهذا فان العبادات التي جاءت من المشرع ، وان جاءت بصيغة الامر الا ان لها اهدافاً تربوية .

2 – الموعظة والنصح : والتربية بالوعظ والنصح لها دورها المهم في غرس القيم الاسلامية . والموعظة المؤثرة قد تجد طريقها الى النفس مباشرة ، مما يؤثر في تغيير سلوك الفرد تحقيقاً لمرضاة الله عز وجل .

3 – ضرب الامثال : وهذه الوسيلة تؤدي دوراً بارزاً في التأثير في سلوك المرء ، وفي غرس القيم الاسلامية في نفسه فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة ، ولهذا اهتم بها القرآن الكريم ، وكان المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يصور لاصحابه كثيراً من الحقائق بامثال تكشف عن حقائق الامور .

4 – القدوة : لها اثر كبير في العملية التربوية ، ولا سيما في مجال الاتجاهات والقيم . وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة المسلمين طبقاً لما نص عليه القرآن الكريم، وقد استطاع بفضل تلك القدوة ان يحمل معاصروه قيم الاسلام وتعاليمه واحكامه لا بالاقوال فقط . ((⇮⑨♦♎ ☑❼⊗× ◀■◆☪❁○⊠❍ ◥□◆❑⇔♒⬆📖 ⬀☠⬈▤♦♑ ⇮♠☀♦☼♎⊠✍)) .. ▦⏀⬅❍⊠➔♦✌ ♦×⇦♋♎⅄✐✍✁◆❒ ⌘⚐⑩♋♎⏲♦❷⬀✍⊗ الممتحنة الاية 4 .

ومن البرامج التربوية الاخرى التي تساعد على تنمية القيم التربوية الاسلامية :

1 – تعويد الافراد على كيفية اختيار الاخيار ومصاحبتهم واجتناب مجالسة ذوي الاخلاق السيئة ومصاحبتهم .

2 – تعويد الانسان على الصفات الاخلاقية الحميدة ، فان لذلك آثاراً كبيرة في نفسه فيسعى الى التواضع والكرم واحترام الآخرين ، وان وجدت لديه صفة لا تعجبه يسعى الى تغييرها .

3 – تعويد الفرد ان يعلم نفسه التروي في كل ما يفعله حتى لا يصدر عنه وهو غافل ما يخالف الاخلاق الحميدة والفاضلة .

4 – تعويد الفرد الاهتمام في البحث عن عيوب نفسه ، ويجتهد في اصلاح هذه العيوب .

5 – ارشاد الفرد في الابتعاد عن كل ما ينافي قيمنا ومثلنا الخلقية وبالاخص تلك الامور التي تهيج الشهوات لديه وتدفعه الى ارتكاب المحارم والمآثم .

الانماط الخلقية :

1 – النمط النفعي the expedien type وفيه يسلك الفرد سلوكاً خلقياً للحصول على اغراضه الذاتية .

2 – النمط الامتثالي : وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الاخرون ، وما يقولون انه ينبغي عليه ان يعمله .

3 – النمط العقلي او النمط ذو الضمير الحي

وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ وتبعاً لهذه المعايير يحكم على تصرفاته وهو نمط ايثاري ويمثل اعلى مستويات الاخلاق ، وله مجموعة من المبادئ الخلقية الثابتة المستقرة التي توجهه انه عقلاني وواقعي في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس ، وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات او التأويلات الخلقية لانه يتبع القانون الخلقي .

امكان تهذيب الاخلاق في نظر العرب :

والان لننتقل الى البحث في آراء المربين في امكان تهذيب الاخلاق . فهل كانت الاخلاق في نظرهم قابلة للتغير ؟ وهل كانوا يعتقدون ان لعوامل البيئة اثراً فعالاً في السليقة التي طبع عليها المتعلم ؟

1 – قابلية التغير :

لقد تأثر المربون العرب بالفلسفة اليونانية الى حد بعيد ، وبخاصة فيما يتعلق بالتربية الخلقية . يدلنا على ذلك كتاب ((تهذيب الاخلاق)) لابن مسكويه وامثاله من المؤلفات العربية في التربية . ولذا نرى انهم حذوا حذو فلاسفة اليونان في الاعتقاد ان الخلق قابل للتغير ، وان النفس قابلة للتأدب . وكان الامام الغزالي من اشد المربين ايماناً بقوة تأثير البيئة في الخُلق ، وقد عاب الذين يظنون ان الخُلق كالخَلق لا يقبل التغيير ، وعيرهم بالميل الى البطالة .

وكان للمربين العرب في امكان تغيير الخلق نظريتان اساسيتان ، وهما نظرية السجيّات المكنونة ونظرية النفس الخالية من النقش .

(1)نظرية السجيات المكنونة

تقول هذه النظرية بان عقل الولد له سجيّات قابلة بالقوة لان تنمو وتنشأ بالفعل ، اذا تيسرت لها شروط التربية . وقد شبهوا السّجية المكنونة في العقل بالحبة المدفونة في الارض . فكلتاهما لا تقويان على النمو والنشوء الا اذا تعهدتهما عوامل البيئة المناسبة .

وقال ابن المقفع بالمعنى نفسه : ((للعقول سجيات وغرائز بها تقبل الادب ، وبالادب تنمو العقول وتزكو . فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر ان تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض ، بزهرتها وريعها ونضرتها ونمائها ، الا بمعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها ، فيذهب عنها اذى اليبس والموت ، ويحدث لها باذن الله القوة والحياة ، فكذلك سليقة العقل ، مكنونة في مغرزها من القلب ، لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها)) .

(2)نظرية النفس الخالية من النقش

لقد فسرّ المربون العرب هذه النظرية بقولهم ان نفس الولد ليس عليها صورة فهي اذن قابلة لكل ما يُصور عليها ، وليس لها رأي او عزيمة تُميلها من شيء الى شيء ، فهي اذن سريعة القبول لكل ما يُنقش عليها ، مائلة الى كل ما يمال بها اليه . وعلى ذلك فان عود الولد منذ صباه العادات القويمة والافعال المحمودة نشأ عليها واعتادها . اما اذا تُرك واهملت تربيته اعتاد مساوئ الاخلاق ومعايب العادات حتى تصير فيه ملكة راسخة يعسر النزوع عنها .

وقد عبر آخرون عن هذه النظرية بقولهم ان الاخلاق مكتسبة بالتعليم والاعتياد . وكما ان البدن لا يُخلق كاملاً وانما يكمل بالنشوء والتربية ، كذلك فان النفس لا تُخلق كاملة ، وانما تكمل بالترويض والتزكية .

وقد اضاف كثيرون منهم الى ذلك بان الولد بجوهره خُلق قابلاً للخير والشر ، وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين . ويمكن الاستشهاد بالحديث النبوي القائل : ((كل مولود يولد على الفطرة ، الا ان ابويه يُهودانه ويُنصرانه ويُمجسانه .

<u>شروط التغيير :</u>

هذا فيما يتعلق بعقيدة المربين العرب في قابلية الولد لتغيير خلقه . وفي الوقت نفسه لم يذهب عن هؤلاء المربين ان تغيير الخلق ليس بالامر اليسير ، فوضعوا له شروطاً كثيرة اهمها الثلاثة التالية :

1 - ان يؤخذ الولد بالأدب منذ الصغر

هذا هو الشرط الاول ، لان الصغير هو ، في نظرهم ، اسلس قياداً واسرع مؤاتاةً من الكبير ، واوائل الامور هي التي ينبغي ان تُراعي . وقد رجع بعضهم بحداثة السن الى دور الفطام ، فقالوا بوجوب البدء برياضة اخلاق الطفل حالما يُفطم عن الرضاع وقبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة والشيم الذميمة . ورجع آخرون الى ما قبل الفطام ، فقالوا ان من حق الولد على والديه اختيار مُرضعه كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة ، بل صالحةً متدنية .

وما اكثر ما ينوه المربون بالمسؤولية الملقاة على عواتق الوالدين والاولياء ، على اعتبار ان الولد وديعة ثمينة جعله الله بين ايديهم . فاذا هم احسنوا رياضة اخلاقه شاركوه في الثواب ، وان هم اساءوا اليه بالترك والاهمال كان وزره في رقابهم . وما اكثر ما يستشهدون بالاقوال الشعرية والنثرية التي تُبين اهمية العلم في الصغر وتقويم الاخلاق ما دام عود الولد رطباً .

2-ان يحاط الولد بكل ما هو جميل

والشرط الثاني الذي يجب ان يُستوفى ليتيسر تهذيب الاخلاق هو ان يُحاط الولد في جميع الاوقات بكل ما هو جميل ، ويُنحى عن كل ما هو قبيح ، على اعتبار انه اذا عرف الجميل وتحسس به واعتاده في حياته اليومية ، قام في نفسه مثل اعلى للجمال ، وصار من تلقاء نفسه يقصد الجميل ويتجنب القبيح في جميع الامور .

ويبدو ان المربين العرب تأثروا هنا ايضاً بآراء فلاسفة اليونان ، ونصحوا – كما نصح اولئك الفلاسفة – بابعاد الولد عن كل ما هو قبيح ، فمنعوه من مخالطة قُرناء السوء لان قرين السوء يعدي قرينه ، وحظروا عليه مجالس اهل الشرب لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري فيها ، وخذروه من الاشعار السخيفة لانها مفسدة للاحداث ، وان زعم اصحابها ان فيها شيئاً من الظرف ورقة الطبع . كذلك نصحوا بتقريب الولد الى كل ما هو جميل ، فشجعوه على معاشرة القرناء ذوي الاخلاق الجميلة ، واذنوا له في مجالسة الادباء الافاضل ، واوصوه بحفظ الاشعار التي تحث على بر الوالدين ، واصطناع المعروف ، وقرى الضعيف ، وغير ذلك من مكارم الاخلاق .

3-ان يُوضع الولد تحت رعاية الاخيار

وهذا هو الشرط الثالث الذي اشترطه المربون العرب لنجاح تقويم الاخلاق . وقد شبّه احدهم المعلم بالمرآة النقية ، تنعكس عنها صورة المتعلم . قال هذا مخاطباً معشر المعلمين :((كونوا لهؤلاء التلاميذ مرآةً صافية مضيئة ... وامتنعوا عن الشهوات المذمومة وافعال الخطايا ... ولا تقربوا شيئاً

يلحقكم منه عذل ، ولا تكونوا سبباً لعادة مذمومة يجترىء عليكم بها تلاميذكم . فمن قصّر في هذه الوصايا فليكن مُبعداً مُنحىً من هذا التعليم)) .

افضل الطرق التي اتبعوها لتهذيب الاخلاق

بقي علينا القسم الاخير من هذا الفصل وهو الذي نتناول في الكلام عن الطرق التي اوصى المربون العرب بوجوب اتباعها في تأديب الاحداث. ونحن مقتصرون على ثلاثة من اهم هذه الطرق :

1 – التهذيب بالاعمال خير من التهذيب بالاقوال

ومعنى ذلك ان المعلم هو القدوة الصالحة ، يُراقبه تلاميذه للاخذ عنه من حيث لا يعلم . من اجل ذلك ينبغي له ان يبدأ بتهذيب اخلاقه ليكون اهلاً لتهذيب اخلاق الآخرين . قال احد الخلفاء لمعلم اولاده : ((ليكن إصلاحُك بني اصلاحك لنفسك ، فان عيوبهم معقودة بعينك . فالحسَن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت)) .

وقال احد مشايخ الصوفية بهذا المعنى : ان السالك الى رتبة المشيخة مأمور بسياسة النفس ، فاذا تمكن من سياسة النفس وانقادت له ، فحيئذ يسوس نفوس المريدين الطالبين ، كما يسوس نفسه من قبل ... وتصير هذه الولادة معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فالولادة الاولى حسية ، وهذه الولادة معنوية ، وبها يستحق ميراث الانبياء .

وهكذا كان يعتقد هذا المربي الصوفي . ويبدو ان مربّياً آخر ادرك خطورة سنن المنابهة والمحاكاة في التربية فكتب ما يأتي : ((ان مالكاً كان عنده التعظيم للمقام الذي اقيم فيه ، فسرى ذلك الى طلبته . كذلك سنة الله ابداً في خلقه . أي من قرأ على شخص لا بد ان يسرق طباعه وطريقة اصطلاحه . فان لم تكن كلها كان بعضها . فان كان ذلك كذلك ، فينبغي للعالم ان يأخذ نفسه اولاً بالأدب)) .

وقال مربٍ آخر بشأن اقتداء الطلاب بالمعلم : ((ان اكثر الناس مُقلدون ، ينظرون الى حال القائل . والمُحقق الذي لا ينظر الى حال القائل ، بل يقصرُ النظر الى ما قاله فهو نادر . فلتكن عناية المعلم بتزكية اعماله اكثر منه بتحسين علمه ونشره)) .

وقد حذر المربون العرب من ان يُخالف اقوال المعلم افعاله ، وذلك لسببين جوهريين :

الاول ان اقوال المعلم اذا خالفت افعاله ، فانها تفقد اثرها في الطالب ، ولهم في ذلك اقوال مأثورة ، واليك بعضها :

((ان العالم اذا لم يعمل بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب ، كما يَزل القطر عن الصفا)) .

((اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان)) .

والسبب الثاني : ان اقوال المعلم اذا خالفت افعاله ، فانها لا تفقد اثرها فحسب ، وانما يكون لها عكس التأثير الذي توخاه المعلم ، فيكون مثله كمثل الطبيب الذي يتناول طعاماً ، وفي الوقت نفسه يزجر الناس عن تناول هذا الطعام ، بحجة ان فيه سمّاً ناقعاً . فماذا تكون النتيجة ؟ يسخر الناس منه ، ويتهمونه في قوله ، ويزدادون حرصاً على ما نهوا عنه ، ويقولون في انفسهم : لولا انه من اطيب الاطعمة واشهاها وانفعها لما استأثر به دون غيره . فينقلب النهي اغراءً وتحريضاً ، وتلك هي الطامة الكبرى .

2 – الزجر بالتعريض خير من الزجر بالتصريح

وهذه هي الطريقة الثانية التي اشار بها المربون العرب . والمقصود من الزجر بالتعريض هو انه اذا احتاج المتعلم الى زجر ، فيجب ان يُزجر ، ما امكن ، بطريقة التلميح الخفي غير المباشر . ورب تلميح ابلغ من تصريح . مثال ذلك :((اذا رأى المعلم من احد طلبته مكروهاً ولحظ في سلوكه اعوجاجاً ، فلا يُصرح له بذلك مباشرةً ، بل يعرض اليه في سياق كلامه مع الطلبة جميعاً ، كاشفاً عن وجه المذمة في المكروه اجمالاً ، فتحصل بذلك الفائدة المنشودة)) . وقد اعتبروا الزجر بالتعريض من دقائق صناعة التعليم التي لا بد للمعلم من ان يُلم بها كل الالمام .

على انهم ادركوا في الوقت نفسه ان التعريض لا يَصلحُ الا للطالب اللبيب الذي يفهم بالاشارة . اما اذا كان الطالب قليل الفهم والاحساس ، فان المعلم يُضطر الى مصارحته . وللتصريح عندئذ درجات . ففي اول الامر ينهاه المعلم سراً . فان لم ينته نهاه جهراً ، ويُغلظ القول عليه اذا اقتضاه الحال . فان لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والاعراض عنه الى ان يرجع .

وقد فضل المربون العرب التعريض على التصريح في التربية الخلقية لاعتبارات وجيهة يُقرها علم النفس الحديث . فقالوا ان التصريح المباشر يُغري بالمنهي عنه ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويُهيج الحرص على الاصرار ، والانسان حريص على ما مُنع . وكذلك قالوا ان التصريح يهتك حجاب الهيبة ، فيستفيد المنهي جرأة على المخالفة . وغني عن البيان ان المعلم لا يقدر على تأدية رسالته التأديبية دون ان يكون له في قلب المتعلم شيء من الهيبة والاحترام .

هذا من جهة التصريح . اما من جهة التعريض فقد قالوا ، اولاً ، انه يُميل النفوس الابية والاذهان الذكية الى استنباط معاينة ، فيزيدها رغبة في العلم به والتمسك بما ينطوي عليه. وثانياً ، انه يوصل المتعلم الى الغاية المتوخاة من التأديب ، دون ان يشعر هذا بان الاصلاح قد تم عن يد المعلم .

ولعل اطرف مثال تحدر الينا على استعمال طريقة التعريض في التربية الخلقية هو ان احد المعلمين كان يربي طلبته في صورة الاستفهام منهم ، ثم يعطف عليهم بالجواب كأنه يعرضه عليهم ، هل يرضونه او لا . فيظن السامع انه يتعلم من الطلبة ، والحال انهم هم الذين يتعلمون منه بهذه الطريقة الفعّالة . وهكذا كا يفيد الناس الاحكام ، ويرشدهم الصواب ، من حيث لا يشعرون انه يعلمهم .

هذا هو مبدأ التعريض الذي اوصى به المربون العرب في القرون الوسطى . ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا انه من أنجع طرق التربية الخلقية في يومينا الحاضر .

3 – اللطف واللين خير من العنف والشدة

وهذه هي الطريقة الثالثة والاخيرة التي اشار المربون العرب باتباعها ، واليك بعض اقوالهم فيها :

((علّموا ولا تُعنفوا ، فان المعلم خير من المُعنف)) .

((يُستحب للعالم اذا علّمَ الا يُعنف ، واذا عُلم الا يأنَف)) .

وقد شبهوا المعلم بالوالد الحنون . ولهم في ذلك اقوال شتى . منها ان المعلم للصبيان عوض عن آبائهم ، ومنها انه ينبغي له ان يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به اعز اولاده من الحنو والشفقة عليه والاحسان اليه والصبر على جفاء ربما وقع منه .... وان يوقفه على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف .

هذا مع العلم بان اللين والرفق والحنو الوالدي لم يكن يُقصد منها الرخاوة والتساهل ، بدليل انهم اوجبوا على المعلم ان يكون دقيقاً في معاملته للطالب ، يعد عليه انفاسه ، ويُحاسبه على جميع حركاته وسكناته .

اما الشدة في التأديب فقد مقتها المربون العرب ، وبخاصةٍ اذا استعُملت في غير موضعها . وقد سئل القابسي ، احد مربي القرن الرابع للهجرة ، هذا السؤال : ((هل يُستحب للمعلم التشديد على الصبيان ؛ او يرفق بهم ولا يكون عبوساً ؟)) فاجاب : ((اذا احسن المعلم ، وضع الامور في موضعها ... والنظر في زجر الصبيان لا يجرجه من حسن رفقه بهم ولا من لرحمته اياهم . فانما هو لهم عوض عن آبائهم . فكونه عبوساً ابداً من الفظاظة الممقوتة ، وسيأنس الصبيان بها فيجترئون عليه . ولكنه اذا استعملها عند استنهالهم الادب،صارت دلالة على وقوع الادب بهم فلم يأنسوا اليها)) .

ولعلّ ابلغ ما تحدّر الينا من الآراء في موضوع الشدة واللين في التربية ما كتبه ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان : ((في ان الشدة في المتعلمين مضرّة بهم)) . وها نحن نقتطف من ذلك الفصل العبارات التالية :

((ان ارهاف الحد بالتعليم مضرّ بالمتعلم ، ولا سيما في اصاغر الولد ... ومن كان مرباهُ بالعسف والقهر ... سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ... خوفاً من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادةً وخلقاً ... فينبغي للمعلم في مُتَعلمه ، والوالد في ولده ، ان لا يستبدّا عليهما في التأديب)) .

ولعمري لو عرضنا الآن هذه النبذة على علماء التربية من اهل الغرب ، دون ان نذكر لهم قائلها والعصر الذي قيلت فيه ، لحسبوا انها من نظريات علم النفس التربوي في الثلث الاخير من القرن العشرين .

التربية الصحية

للصحة اهمية في حياة الفرد والمجتمع . ((فالامة القوية وحدها هي التي تستطيع ان تخلق حضارة راقية وتحافظ عليها ، كما ان الفرد القوي وحده هو الذي يستطيع ان يحقق امكانياته الى اقصى مداها)) .

الصحة نعمة عظمى يحرص الانسان عليها كل الحرص ، فالصحيح يعيش ناعم البال ، ويقوم باعماله في همة ونشاط ، اما المريض فأنه يفقد لذة الحياة وهناءها ، فضلاً عن انه يخسر ماله ، ولا تقتصر هذه الخسارة على المريض نفسه ، بل تتعداه الى عيلته وبلاده ، فما اعظم الفرق بين ما تستطيع ان تنتجه أمة يتمتع افرادها بالصحة والحيوية ، واخر يسيطر الضعف والخمول على اجسادهم وعقولهم ! ولهذا نرى الدول الناهضة تعنى عناية فائقة بصحة المواطنين .

اضف الى ذلك ان الدفاع عن الاوطان وسلامة اراضيها يتطلب اجساماً صحيحة ملؤها القوة والنشاط ، والدفاع في هذه الايام لا ينحصر في القوات المسلحة ولا في معترك خاص ، وانما يشترك فيه جميع المواطنين على السواء ، رجالاً ونساءً وكباراً وصغاراً ، ويكون فيه كل شارع معتركاً

وكل منزل قلعة ، وليس ثمة ما يشجع العدو المغتصب على العدوان مثل ضعف المعتدى عليه ، ولعل اخطر اشكال الضعف اجسام سقيمة لا تقوى على المقاومة .

والذي يزيد صحة الجسم اهمية في الحياة اتصالها الوثيق بالصحة العقلية والنفسية ، ومن لا يعرف القول المأثور ((العقل الصحيح في الجسم الصحيح)) ومن لم يختبر في حياته وحياة الاخرين صعوبة القيام بجهد عقلي او جهد نفسي ما دام الانسان في حالة المرض ؟

نستخلص مما تقدم ان الصحة بأوسع مفاهيمها من ضرورات الحياة الفردية والاجتماعية ، ولما كانت التربية اعداداً للحياة من مختلف نواحيها ، وجب عليها ان تعير الناحية الصحية جانباً كبيراً من اهتمامها ، ان المجتمع العربي في حاجة ماسة الى الاخذ بأسباب الصحة ، والطفل الصحيح خير ضمانه للمواطن الصحيح ، ولن تكون ثمة أمة سليمة اذا لم يكن هناك مواطنون أصحاء .

التربية والصحــة

ان هناك جملة من الاسباب الجوهرية لتخلفنا الصحي – وهو صحيح فيما نعتقد – فهل تستطيع التربية ان تتلافى هذه الاسباب ؟ لا ريب ان بأمكان التربية ان تتلافاها الى حد بعيد ، وذلك بنشر التعليم الصحي في صفوف الصغار والكبار جميعاً .

1 – التعلم الصحي للصغار

ان مسؤولية رفع المستوى الصحي في المجتمع لا تقع على كواهل المتخصصين في الطب والتمريض والصحة العامة فحسب ، وانما يشاركهم في تحملها جميع المواطنين ، ونخص منهم بالذكر الذين يعنون بتربية النشء ، ولا ريب ان المدرسة – بالتعاون مع البيت – تستطيع ان تمثل دوراً خطيراً في تحسين الحالة الصحية في المجتمع ، على اعتبار انها تتناول الافراد وهم في اول ادوار النمو واكثرها قابلية للتكتيف وبدون معاونة المدرسة يتعذر على المؤسسات الطبية والاجتماعية ان تقوم بالتربية الصحية المنشودة ، مهما بلغت وسائلها الفنية من الجودة والاتقان .

لنأخذ– مثلاً – مشكلة وفيات الاطفال. ان هذه المشكلة العويصة تساهم اليوم في حلها مختلف المؤسسات الطبية والاجتماعية ، وتبذل في سبيلها جهوداً جبارة ، غير ان هذه الجهود لا يمكن ان تتكافل فائدتها الا اذا كان ثمة امهات مستنيرات يدركن قيمة قواعد الصحة ويعرفن اصول العناية بالطفل هؤلاء الامهات تصنعهن مدارس البنات ، مدربه اياهن على اصول التدبير المنزلي وبخاصة رعاية الاطفال .

ولنضرب مثلاً اخر بشأن الامراض المتفشية في صفوف المجتمع هذه الامراض يعمل اليوم على تخفيف وطأتها – وقاية وعلاجاً – الاختصاصيون المعنيون بالأمر ، وليس من ينكر خدماتهم الجليلة في هذا السبيل ، غير ان هذه الخدمات لا يمكن ان تكلل بالنجاح الذي يتوخاه المصلحون الا اذا كان ثمة مواطنون مستنيرون ، يتلهبون غيرة على المستوى الصحي في البلاد ، ويساهمون في تحسينه . وكيف السبيل الى مواطنين مستنيرين من هذا النوع ، اذا لم تعمل المدارس على صنعهم ؟ .

والمدرسة المتجددة لا تعدم الوسائل الفعالة لتحقيق هذه الامنية الغالية ، فهي تجعل علم الصحة من مواد التدريس الاساسية . اي انها تحلها في صلب مناهج التعليم لا على هامشها ، وتدرسها وفقاً لحاجات البيئة التي يعيش فيها التلاميذ ، لا بصورة عامة عديمة الصلة بهم . ((ففي مدارس القرى – مثلاً – تدرس طفيليات واخطارها ، وفي المدينة تدرس امراض الصناعات ، وفي مدارس البنات تدرس مسائل الامومة والطفولة ، بحيث تلائم الدراسة التلميذ ويستطيع ان يستفيد ويفيد منها في حياته)) .

كذلك تدرس المدرسة الحديثة علم الصحة بطرق حديثة تستعمل فيها انجح الوسائل البصرية والسمعية ، كالصور والخطوط البيانية والافلام السينمائية ، اعتقاداً منها ان التعليم اللفظي وحده لا يجدي نفعاً كبيراً ولعل الافلام الثابتة والمتحركة احدى وسائل الايضاح ، فهي مليئة بالحياة والاصوات والالوان ، ويتيسر لها ان تعرض اي شيء حتى الجراثيم الدقيقة ، مصورة اياها من فوق المجهر .

ومن انجح وسائل التربية الصحية ان تحتفل المدرسة بين آونة وأخرى باسابيع تتعلق بالصحة والسلامة ، كاسبوع الصحة واسبوع السلامة واسبوع النظافة واسبوع الرياضة البدنية ، في هذه الاسابيع تعرض المدرسة الصور والافلام ، وتعقد الاجتماعات العامة ، وتقيم المهرجانات والمباريات الرياضية ، وجدير بالذكر ان منظمة الصحة العالمية قد خصصت يوم 7 نيسان من كل عام للاحتفال بيوم الصحة في العالم أجمع ، ويحسن بمدارسنا جميعاً ان تشترك في هذا الاحتفال .

ان التربية الصحية – شأنها كشأن التربية من سائر نواحيها – تعنى بالمعلومات والمهارات والاتجاهات ، اي انها تستهدف تغيير ما في نفس المتعلم من حيث آراؤه وسلوكه واتجاهه ، ولذا فان

المدرسة لا تستطيع ان تؤدي رسالتها الصحية على خير الوجوه الا اذا ساعدت المتعلم على اكتساب المعلومات الصحية اولاً ، والعادات الصحية ثانياً ، والاتجاهات الصحية ثالثاً .

(1) المعلومات الصحية

لا بد للمتعلم اولاً وقبل كل شيء ان يتزود المعلومات فالمستوى الصحي في المجتمع لا يمكن ان يرتفع الا اذا نال افراده قسطاً من الثقافة الصحية .

ولا يخفى ان جمهرة العامة في المجتمع تنقصهم هذه الثقافة , يدلنا على ذلك الخرافات والترهات الصحية المتفشية في صفوفهم ، فلابد لكل مواطن معرفة قواعد الصحة فيما يتعلق بالتغذية والراحة والنوم والنظافة والرياضة البدنية والهواء الطلق وأشعة الشمس وما الى ذلك ؟

ولا بد للمواطن من الالمام بطرق انتقال الامراض وخصوصاً المعدية . فأمراض العيون – مثلاً – تنتقل بوساطة الذباب او الغبار المتطاير ، وحمى الملاريا تنتقل بوساطة البعوض من فصيلة الانوفيليس . كذلك لا بد له من الالمام بطرق الوقاية من هذه الامراض ، كالتطعيم وقاية من الخناق والتلقيح وقاية من الجدري ، وغير ذلك مما يوصي به الاطباء ؟

وكذلك لا بد للمتعلم من ان يدرك ضرورة الذهاب الى الطبيب عند الحاجة ، ان للانسان نزعة الى الاهتمام بحالة المرض اكثر من اهتمامه بحالة الصحة ، وقديماً قيل : ((الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى)) . وكثير من الناس يتهاونون بأمر الصحة ، فلا يراجعون الطبيب حتى يشتد بهم المرض ويجبرهم على لزام الفراش ، وقد لا يراجعونه حتى تسوء بهم الحال ويتعذر شفاؤهم ، وقليلون هم الذين يدركون الحكمة في استشارة الطبيب من وقت الى وقت من غير ان يشعروا بضعف او ألم ، على اعتبار ان ثمة امراضاً لا تبدو اعراضها للعيان ، فان لم يكتشفها الطبيب قبل ظهورها قد يستفحل امرها وتتعذر معالجتها .

(2) العادات الصحية

ومن واجب المدرسة ايضاً ان تبث العادات الصحية بين التلاميذ ، فالمعلومات الصحية وحدها لا تضمن اتباع النهج الصحي في حياة الفرد والجماعة ، وأية فائدة ترتجى من معلومات يستظهرها التلميذ دون ان يطبقها على حياته اليومية ، فالمعرفة الصحية انما هي وسيلة الى المعيشة الصحية ، وقديماً قال حكماء الصين : ((اذا سمعت الشيء نسيته ، واذا رأيته ذكرته ، اما اذا مارسته فاني اعرفه معرفة حقه)) .

وكثير من العادات الصحية ينبغي للولد ان يكونها في البيت وفي المدرسة الابتدائية ، فهناك في صغره يتعلم – مثلاً – ان لا يستعمل مشط غيره او منديل غيره ، وان لا يضع اصابعه في فمه او يقضم اظافره بأسنانه ، وان لا يشتري الحلويات المكشوفة المعرضة للذباب والغبار ، كذلك يتعلم في حداثته ان يغسل يديه قبل تناول الطعام وقبل مبارحة بيت الخلاء ، وان يحافظ على نظافة جسمه ولباسه، وان يراعي القواعد الصحية فيما يتعلق بالنوم والراحة والرياضة والتغذية والكساء وغير ذلك .

وما يصح ان يقال في تكوين العادات المتعلقة بالصحة الخاصة ، يقال ايضاً في تكوين العادات المتعلقة بالصحة العامة . فينبغي للمدرسة ان تعلم تلاميذها منذ الصغر ان لا يسعلوا او يعطسوا في وجه الاخرين ، وان لا يبصقوا في السيارة او القطار او الاماكن العامة ، وان لا يكون سلوكهم في حال من الاحوال منافياً لمقتضيات الصحة العامة .

ولابد للتلاميذ ايضاً من ان يتعودوا المساهمة في خلق بيئة صحية فيعين فريق منهم – مثلاً – لمحاربة الذباب ، وفريق آخر لمحاربة البعوض ، وفريق آخر لمحاربة العادات غير الصحية كقضاء الحاجة في جوانب الطرق ، او سقي البساتين بالقاذورات ، وغير ذلك مما يعمل على نشر الامراض والأوبئة .

ولا ريب ان الدروس العملية عظيمة الفائدة . فالدروس النظرية – على اهميتها – لا تجدي نفعاً كبيراً الا اذا اقترنت بالدروس العملية ، وعملت معها على تحسين الحالة الصحية في حياة الفرد والجماعة . ((ان التعلم عملية تطبيقات لا عملية محفوظات لفظية ، والانسان يتعلم بالعمل ، فاذا نحن اردنا ان يكون لتربيتنا أثر فعال في حياة المتعلم الصحية وغير الصحية ، فان السبيل الوحيد الى ذلك هو العمل والممارسة)) .

(3) الاتجاهات الصحية

ان المعلومات والعادات الصحية لا تجدي نفعاً كبيراً ان لم تقترن بالاتجاهات الصحية القويمة ، فلابد للمتعلم من الايمان بأهمية الصحة في حياته وحياة جماعته ، وبوجوب المحافظة عليها والعمل على رفع مستواها .

قد تزود المدرسة تلاميذها التعاليم الصحية ، وقد تحملها على العمل بهذه التعاليم الى حد محدود ، غير ان تربيتهم الصحية لا تتكامل حتى يقتنعوا بضرورة الحفاظ على صحتهم وصحة مجتمعهم ، ويتقبلوا القواعد الصحية عن رغبة صادقة تتغلغل في صدورهم وتستولي على اذهانهم . فاذا لم يستحوذ

عليهم هذا الاقتناع فانهم لا يلبثون ان يتناسوا ما اكتسبوا من قواعد صحية وما كونوه من عادات صحية .

ولعل اكبر دليل على صحة هذا القول ان عدداً كبيراً من الناس يقعون في مخالب الامراض الفتاكة ، لا لانهم يجهلون خطرها او طرق الوقاية منها بل لانهم ليسوا مقتنعين كل الاقتناع بضرورة اتقاء شرها فتراهم يتهاونون بالتدابير الوقائية او يهربون منها .

وما يصح ان يقال في ضرورة الاتجاه نحو الصحة الخاصة يصح ان يقال ايضاً في الاتجاه نحو الصحة العامة ، فلا بد للمتعلم من ان يقتنع اقتناعاً كلياً ان صحته منوطة بصحة الجماعة التي يعايشها وانه ليس بامكانه المحافظة على صحته الا بالمحافظة على صحة هذه الجماعة ، ولعل الاوبئة والامراض المعدية من ادل الامور على ارتباط مصلحة الفرد بمصلحة المجتمع .

4 – التعليم الصحي للكبار

ويقصد بذلك نشر المبادئ الصحية بين جمهور الشعب ، وتعويدهم العادات الصحية التي تقيهم شر الامراض ، وتقوي ايمانهم بأهمية الصحة في حياة الفرد والمجتمع . ولا ريب ان حاجة الاميين الكبار الى التربية الصحية لا تقل عن حاجة الصغار . فهي تساعدهم على تفهم المشاكل الصحية العامة ، وتثير وعيهم لادراك خطورة الاوبئة والامراض الفتاكة ، وتوقظ اهتمامهم للمساهمة في دفع اذاها عنهم .

ان هذه الامراض التي يقاسي المجتمع منها الامرين لا يستطيع الاختصاصيون ان يخففوا وطأتها ، ما لم يهب المواطنون الى معاونتهم . وهذا لا يتيسر الا بنشر الثقافة الصحية والارشاد الصحي . فهذه مياه الشرب تنساب مكشوفة فتكون عرضة للتلويث والفساد ، وهذه المياه الآسنة التي يتكاثر فيها البعوض فتعبث بالصحة العامة ، وهذه الفضلات المتراكمة التي يتوالد فيها الذباب وتنبعث منها الروائح الكريهة المؤذية ، وهذه المزابل المكومة التي تتدفق منها الحشرات والهوام فتعمل على نشر الامراض والاوبئة ، وهذه الاوساخ التي يخلفها الانسان والحيوان على جوانب الطريق وفي زوايا الحقول فيعم فسادها وضررها ، وهذه القاذورات التي تقنى لها الاقنية لتسقي البساتين فتكون مقراً للجراثيم القتالة ، وهذه الخرافات والترهات والعادات غير الصحية التي تسيطر على حياة الاميين في كل مكان – جميع هذه الآفات وامثالها ، من يستطيع ان يضع لها حداً بل يستأصلها ويخلص المجتمع منها غير المواطن المستنير الذي نال قسطاً من الثقافة الصحية وهو على مقاعد المدرسة او في صفوف تعليم الاميين ؟

ولا يخفى ان نجاح التعليم الصحي في مجتمع ما يتوقف ، الى حد بعيد ، على ادراكه طبيعة الامراض واسبابها وكيفية الوقاية منها ، وتفهمه الاخطار الجسيمة التي يتعرض لها اذا هو لم يتق شرها ، فكثير من المشاريع الصحية في البلاد العربية قد اخفقت لانها كانت تفرض على الآهالي فرضاً ، او تقدم اليهم هدية من غير ان يقتنعوا بفائدتها او يشعروا بالحاجة اليها ، وبتعبير آخر ، ان التعلم الصحي – شأنه كشأن التعلم في سائر النواحي – يقتضي تغيراً مستمراً في سلوك الافراد . وهذا التغير لا يتم على خير الوجوه الا اذا نشأ عن تفهم عميق لمعنى الصحة ، واقتناع كلي بضرورتها ، وسعي حثيث لكسبها والمحافظة عليها .

والى جانب هذا التعليم الصحي يجب ان تتوافر للناس اسباب الصحة في المساكن والمعامل والمتاجر والشوارع ووسائل النقل وغير ذلك . والحكومات وسائر المؤسسات لا تستطيع ان تقوم بهذا العمل الخطير الا بمعاونة مواطنين مستنيرين نالوا قسطاً وافراً من الثقافة الصحية .

والخلاصة ، ان التربية الصحية ضرورية لحياة الفرد والمجتمع معاً ، ولا بد للعالم العربي من ان يعيرها جانباً عظيماً من اهتمامه . ولعل افضل ما نختم به هذا الفصل الكلمة التي صدرناه بها ، وهي : ((ان يكون الفرد مخلوقاً صحيح الجسم اول متطلبات النجاح في حياته ، وان تتألف الأمة من مخلوقات اصحاء الاجسام اول شروط الفلاح في حياتها)) .

التربية الأسريــة

اولاً : الاسرة ووظائفها في المجتمع

ان الاسرة هي الوحدة الاولى في المجتمع وهي منشأ المجتمع واساسه وتؤدي الاسرة للمجتمع خدمات جليلة . الا ان هذه الخدمات تختلف في العصر الحديث كما هي عليه في العصور السابق . فالعائلة قديماً تقول ان الاسرة تقوم بوظائف عديدة زراعية وصناعية وحربية وسياسية ودينية وتربوية . الا انها اليوم لا تقوم ولا تتحمل كل هذه المسؤوليات .

ان في المجتمع الحديث هيئات ومؤسسات كثيرة تحملت عن الاسرة قسماً كبيراً من أعبائها . فالمصانع تخفف عنها كثيراً من الاعمال التي تتعلق بالطعام واللباس والمأوى والانارة والتدفئة وما الى ذلك . والمستشفيات تخفف عنها كثير من اعمال التمريض والمعالجة . والقوات المسلحة تخفف عنها كثيراً من اعمال المحافظة على الامن وحماية الممتلكات والارواح . والمدارس والمؤسسات الدينية تخفف عنها كثيراً من اعمال التعليم والتهذيب الروحي والخلقي . والاندية ، على اختلاف انواعها ، تخفف عنها كثيراً من اعمال التسلية والترويح عن النفس في اوقات الفراغ .

وهنا يحق لنا ان نتساءل : وما الوظائف التي بقيت للأسرة بعد ان زالت عنها جميع هذه الاعباء ؟ بقي لها وظيفتان اساسيتان 1) الوظيفة الاولى بيولوجية ، وهي التكفل بحفظ النسل واستمرار النوع البشري . 2) والوظيفة الثانية تربوية ، وهي التعهد برعاية الاولاد وتربيتهم ، وخصوصاً في المرحلة الاولى من حياتهم – هذه المرحلة التي يعتبرها كثيرون اهم المراحل التربوية على الاطلاق . وان عالمين من علماء الاجتماع يحملان الكلام على محل الاسرة من المجتمع الحديث بقولهما : ((ومع ان الاسرة قد خسرت كثيراً من وظائفها الاقتصادية والدفاعية والتربوية والاستجمامية والدينية ، فأنها قد حافظت على وظيفتين جوهريتين ، هما الوظيفة البيولوجية والوظيفة الثقافية .

من كل هذا يتضح لنا ان الاسرة وان تكن مؤسسة صغيرة ، فهي كبيرة الاهمية وعليها تتوقف ، الى حد بعيد ، قوة المجتمع ومناعته ، ولقد أشاد بأهميتها مربيان خبيران قائلين : ((لقد نال النوع البشري حضارته بفضل الاسرة وان مستقبله يتوقف بصورة مباشرة على هذه المؤسسة اكثر من اي مؤسسة اخرى)) .

ثانياً : الحاجة الى التربية الاسرية

1 – الحياة الاسرية من اهم نواحي الحياة

اذا كان للأسرة ان تؤدي وظائفها على خير وجه فلابد لربها وربتها من ان يكونا قد نالا حظاً وافراً من التربية الاسرية وهما بعد في أحضان المدرسة . اذ كيف ينتظر ان يحسن احدهما معاملة الآخر ، وان يحسن الاثنان معاملة الاولاد ويسعيا متكافلين متضامنين الى كل ما يجلب للأسرة السعادة والرفاهية ، ما لم يكونا قد وجها توجيهاً اسرياً قويماً منذ الصغر ، وتعلما الشيء الكثير من الواجبات الزوجية والوالدية ؟

ومن اول المربين الذين ادركوا الحاجة الى هذه التربية المربي الانكليزي هربرت سبنسر Spencer ، وفي رأيه ان الغرض من التربية هو اعداد الفرد للحياة الكاملة من مختلف نواحيها ، وان نواحي هذه الحياة هي الخمس التالية ، مرتبة بحسب اهميتها الصحية ، والمهنية ، والاسرية ، والوطنية ، والثقافية ، وقد انتقد هذا المربي مناهج التعليم الانكليزية ، كما عرفها في منتصف القرن التاسع عشر ، لخلوها من عناصر التربية، وحجته في ذلك ان آبا الغد وأمهات الغد يتعذر عليهم ان يربوا اولادهم تربية حسنة وهم يجهلون اصول التربية . وفي جلة انتقاداته اللاذعة بهذا الصدد انه لو جاء المؤرخون في المستقبل البعيد ليدرسوا تاريخ التربية معتمدين على ما وصل اليهم من مناهج التعليم وكتب التدريس

وأسئلة الامتحانات ، لخرجوا من دراستهم بنتيجة واحدة ، هي ان تلك المصادر التاريخية لا تمثل تربية الناشئين بوجه عام ، بل تختص بتربية العزاب وحدهم .

ولا شك في ان نظرية سبنسر هذه كان لها اثر كبير في تطور مناهج التعليم في العصر الحديث . والذي يراجع المناهج الحديثة في الأمم الناهضة يرى ان للتربية الاسرية فيها مكاناً بارزاً لا في التعليم الابتدائي والثانوي فحسب ، بل في التعليم الجامعي ايضاً .

2 – العلاقات الاسرية في تطور سريع مستمر

والذي يزيد الحاجة الى مثل هذه التربية في العالم اجمع هو ان العلاقات الاسرية في تطور سريع مستمر ، وقد اهتم علماء الاجتماع الغربيون بهذا التطور فدرسوا دراسة علمية مستفيضة وخرجوا من هذه الدراسة بالنتائج الاربع التالية :

(1) ان الاسرة الحديثة تتجه نحو حياة ديمقراطية تكون شؤونها شورى بين الزوجين ، ويشترك في تحمل مسؤولياتها الاولاد متى كبروا .

(2) ان امر زواج الاولاد في هذه الايام ليس من شأن الوالدين بقدر ما هو من شأن الاولاد انفسهم ، كما ان التوافق بين العروسين لم يعد مقياسه التكافؤ الطبقي والاقتصادي بين عائلتيهما ، بل التجاذب الروحي والانسجام الفكري والمزاجي بينهما .

(3) ان الاسرة الحديثة لا يقوم اتحادها وتماسكها على العوامل الخارجية كالشرع والعرف والعادات والرأي العام فحسب ، بل على روابط المحبة والصداقة والتفاهم .

(4) ان تحرر الاسرة الحديثة من بعض وظائفها التاريخية المرهقة قد فسح لها مجال القيام بوظيفتها الثقافية الخطيرة ، فبدلا من ان ينصرف افرادها بكليتهم الى الانهماك بأمور المعيشة ، اصبحوا قادرين على الالتفات الى تنمية شخصياتهم ومواهبهم بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير العميم .

هذه الاتجاهات الحديثة في نظام الاسرة وعلاقات افرادها بعضهم ببعض تحتم على المربين ان يعيروا التربية الاسرية جانباً كبيراً من اهتمامهم ، فلابد لرجال الغد ونساء الغد من ان يوجهوا توجيهاً علمياً قويماً ؟

3 – الواجبات الزوجية والواجبات الابوية

هذه التربية التي يحتاج اليها ابناؤنا وبناتنا تتناول ناحيتين : ناحية الواجبات الزوجية وهي التي تعنى بعلاقة الجنسين احدهما بالآخر ، وناحية الواجبات الوالدية وهي التي تعنى بعلاقة الابوين بأولادهما .

فمن الناحية الاولى ، يحسن بالناشئين ان يعرفوا حق المعرفة ان الحياة الزوجية هي اتحاد روحي كما هي اتحاد جسدي . وان روابطها الزوجية لا تقل اهمية عن الروابط الجسدية ، فاذا اراد الزوجان ان يضمنا دوام الحياة الاسرية واستمرار سعادتها وهنائها ، فيجب ان يكون بينهما تمازج روحي وتبادل فكري . وفي الوقت نفسه يحسن بهما ان يدركا قيمة الصحة البدنية والعقلية في الحياة الزوجية ، اذا هما ارادا ان يكون نسلهما صحيح الجسم والعقل ، خالياً من العاهات والاسقام .

اما من ناحية الواجبات الوالدية فخليق بالناشئين ان يعرفوا جيداً ان رعاية الاولاد تتناول الامور الصحية والخلقية معاً فيترتب على الوالدين ان يلما بقواعد الصحة وقايةً وعلاجاً . فطبيب الاسرة وحده لا يستطيع ان يؤمن صحة الولد دون معاونة والديه . ومن المؤسف ان كثيرين من الوالدين يجهلون اصول العناية بصحة اولادهم ، فهم يتركون امرها للطبيعة او يلجأون الى اساليب خرافية لا تليق بالعصر الحديث ، فينشأ عن ذلك انسان خرافي كذلك يحب تعليم الاولاد ان اوجب الواجبات في الامور الجنسية التي تتطلب كثيراً من قوة الارادة وضبط النفس . ولعل افضل مقياس لما يملكه المرء من هذه القوة مقدرته على ضبط نفسه في علاقاته الجنسية ، ومما يستحق الذكر بهذه المناسبة انه ، مع اهمية الاشارة الى الامراض التناسلية في حديثنا الى المراهقين ، فليس من الحكمة ان نجعل الخوف من هذه الامراض الضابط الاوحد لسلوكهم ، او الرادع الاكبر عن ارتكاب الموبقات .

وغني عن البنيان ان الوالدين والمعلمين يتعذر عليهم غرس هذه المثل الجنسية في نفس الناشئ ان لم تكن متأصلة في نفوسهم . ذلك لان المثل على اختلاف انواعها لا تغرس بالتعلم بقدر ما تغرس بالايحاء والقدوة الصالحة . وعبثاً يحاول البعض ان يظهروا للولد خلاف ما يضمرونه من هذه المثل ، فان خداعه ليس بالامر اليسير .

التربية البيتية

والان فلنتحدث عن الناحية الثانية من التربية الاسرية وهي التي تعنى بعلاقة الوالدين بأولادهم من حيث تثقفهم الصحي والخلقي . ولما كان التثقف الصحي قد نال نصيباً وافراً من البحث في فصل خاص به ، فاننا سنحصر الان كلامنا في التثقيف النفسي الذي يتناول تنمية شخصية الولد في المرحلة التأسيسية من حياته . ولا يخفى ان الاتجاه الذي يتخذه الولد في هذه الرحلة يكون له اثر عظيم في مستقبل الحياة .

ولعل اهم ما يعمل على تنمية شخصية الولد وتحقيق ذاتيته مراعاة حاجاته النفسية التي اشرنا اليها في فصل سابق . وكل ما نبتغيه الان هو ان نفصل بعض ما اجملناه هناك بشأن تلك الحاجات ، ونخص منها بالذكر الحاجات الاربع التالية :

(1) الحاجة الى الطمأنينة (2) الحاجة الى المغامرة

(3) الحاجة التى تقدير الاخرين (4) الحاجة الى الحب المتبادل

1 – الحاجة الى الطمأنينة

يحتاج المرء الى الطمأنينة والأمن جسمياً ونفسياً . وتظهر هذه الحاجة جلية عند الولد في ميله الشديد الى الاستعاذة بوالديه من الخطر والآلم والبرد والجوع ، كما تظهر في حبه الانضمام الى جماعة من ابناء صفه او من اعضاء فرقته الرياضية .

كذلك فان هذه الحاجة تبدو عند الكبير في حرصه على الانتماء الى نقابة تحمي مصالحه وتدافع عن حقوقه ، او شركة تؤمن حياته وتضمن عقاره ، او حزب يدعم آراءه ويقيه الاندحار .

ومما لا شك فيه ان البيت حصن أمين يعتصم به جميع افراد الاسرة من متاعب الحياة ومشاكلها ، فيجدون فيه الطمأنينة والسلوان .

والولد الذي ينشأ في جو بيتي من هذا النوع ، مرتوياً من الطمأنينة التي يعطش اليها ، يكون قد ادخر لنفسه ما يعاونه على مجابهة مصاعب الحياة ومخاطرها ، اما الولد الذي يحرم من هذا الجو ، كان يترعرع وهو بعيد عن الحياة البيتية ، او يفقد ابويه او من يعيله منذ الصغر ، او يشعره ابواه بأن مجيئه الى هذا العالم لم يكن مرغوباً فيه ، فأنه ينشأ حينئذ ذليلاً مسكيناً ويظل طوال حياته عرضة للتشرد والانحراف والاجرام .

2 – الحاجة الى المغامرة

كما يميل الانسان الى الطمأنينة والأمن ، كذلك انه يميل الى المغامرة او اكتساب الخبرات الجديدة . فهو يحتاج من جهة الى الاحجام والاتكال على الغير ، ومن جهة اخرى الى الاقدام والاستقلال بنفسه . وهاتان الحاجتان كلتاهما ضروريتان لكيانه . فالأولى تعمل على بقائه واستقراره ، والأخرى تعمل على نموه ونشوئه .

وتظهر حاجة الانسان الى الخبرات الجديدة في جميع ادوار حياته ، وتختلف مظاهر هذه الحاجة بأختلاف الادوار التي يمر بها . فهي تبدو عند الولد الصغير – مثلاً – في اقدامه على الحركة البدنية ،

متدرجاً فيها من الحبو الى الوقوف ، فالمشي والجري ، فالوثب والقفز ، فالتسلق والتزحلق . وهي تبدو ايضاً في اقتحامه لعالمه الصغير وما فيه من اشياء وادوات ، اذ نراه يعبث بما يقع بين يديه محاولاً استطلاع خفاياه ، مما يجعل البعض يظنون ان الولد يميل بطبيعة الى التخريب والتدمير . وتبدو حاجة الولد الى المغامرة كذلك في اقباله على العلم مستكشفاً عن اسراره وغوامضه ، وذلك مما يساعده على التعلم متدرجاً من السهل الى الصعب ومن المجهول الى المعلوم . وتبدو هذه الحاجة ايضاً في اتصالاته الاجتماعية ، اذ يندفع الولد الى توسيع دائرة معارفه واصدقائه ، مبتدئاً بحلقه ضيقة من رفاقه في اللعب ، حتى يبلغ أقصى ما يمكنه من هذه الاتصالات .

وما دامت الحاجة الى المغامرة والاستطلاع تظهر في الولد قبل سن الدراسة ، فان من واجب الاسرة ان تتكفل باشباعها في مراحلها الاولى على الاقل . فينبغي للوالدين ان لا يألوا جهداً في الاجابة عن اسئلة اولادهم بكل روية وطول أناة ، وفي تجهيز بيئتهم بما يعمل على توسيع خبراتهم الطبيعية والاجتماعية معاً . فمن احاديث اسرية تفتح الاذهان وتهذب الاخلاق ، الى العاب بيتية توثق عرى المحبة بين افراد الاسرة الى سهرات اسرية تتسع بها دائرة المعارف والاصدقاء ، الى جلسات امام التلفزيون لمشاهدة برامج مفيدة ممتعة ، الى غير ذلك مما يساعد الاولاد على اكتساب الخبرات الجديدة .

وصفوة القول ، ان حاجة الولد الى المغامرة تميل به الى الابتعاد عن والديه ، كما ان حاجته الى الطمأنينة تميل به الى الاقتراب منهما . والوالدان الحكيمان يأخذان هاتين الحاجتين كليهما بعين الاعتبار ، فلا يحاولان ان يشبعا احدهما دون الاخرى ، بل يتدرجان في تربيته من الحياة الاتكالية الى الحياة الاستقلالية . وواقع الامر ان مهارة المربي تظهر ، الى حد بعيد ، في مقدرته على حفظ التوازن بين هاتين الحاجتين .

3 – الحاجة الى تقدير الاخرين

وبالأضافة الى الطمأنينة والمغامرة يحتاج الانسان الى تقدير الاخرين واعترافهم بما يتحلى به من صفات حميدة وما يقوم به من اعمال مجيدة .وسواء اصدار هذا التقدير عن قرنائه ام رؤسائه ام مرؤوسيه ، فان فيه ارواء لعطشه النفسي ، وتغذية لنضجه الشخصي والاجتماعي .

ولا شك في انك خبرت بنفسك ان تقدير الناس لاعمالك مجلبه لسرورك وانشراحك ، كما ان استخفافهم بها مجلبة لحزنك وكآبتك . واذا هم اعترفوا لك بفضل اسديته او استصوبوا رأياً ابديته او استحسنوا حجة ادليت بها ، فانك تشعر في أعماق نفسك بالغبطة والارتياح . اما اذا انكروا عليك فضلك وسفهوا رأيك واستهجنوا حجتك ، فانك تشعر بالانقباض والكمد .

وتبدو الحاجة الى التقدير عند الطفل في شتى الوسائل التي يستخدمها استرعاءً لانتباه ذويه . فاذا هو اتى عملاً يستوجب – في نظره – الرضا والاستحسان ولم يفطن له احد ، فإنه لا يتردد في لفت الانظار اليه قائلاً بأعلى صوته : ((انظروا ما فعلت)) .

ومع ان الولد ، على مرور الايام ، يتوقع التقدير من خارج البيت ، فان التقدير الاسرة هو الاصل الذي لا غنى عنه ، ويحق له ان يناله عند الاستحقاق ، بل يجب على والديه ان يغذياه به تنشيطاً لعزيمته وتشجيعاً له على متابعة اعماله المشكورة . وان تعذر عليه ان يسترعي انتباه والديه بالطرق المشروعة وينال منهما التقدير الذي يستحقه ، فقد يلجأ الى طرق عدائية غير مشروعه في معاملاته داخل البيت وفي خارجه .

وبتعبير آخر ، ان الولد يحتاج الى التقدير ، وان اشباع هذه الحاجة حق له على ابويه ، فاذا هما اشبعاها شجعاه على المضي في سبيل التقدم ، وان هما تجاهلا أمرها او تغاضيا عن اشباعها ، فانهما يحملانه على الشذوذ والانحراف . فقد يلجأ الى المخالفات ، كالعناد والعصيان والمشاكسة ، أملاً ان يستعين بها على لفت انظار الأخرين اليه وفرض احترامه وتقدير اعماله عليهم . وان علماء النفس ادرى الناس بتشخيص هذا الشذوذ ووصف العلاج له . وعلاجه الشافي يكون في الغالب نصيحة للأبوين ان يعترفا بفضل الولد ويحترما قيمة شخصيته ، ويمنحاه التقدير الذي يستحقه .

4 – الحاجة الى الحب المتبادل

واخيراً يحتاج الانسان الى الحب المتبادل ، ونعنى بذلك انه شديد الرغبة في ان يحب ويحب . وهذه الحاجة – مثل رفيقاتها الثلاث – تمثل دوراً مهماً في تكوين شخصيته ، وخصوصاً في المرحلة الاولى من حياته . وتظهر الحاجة الى الحب المتبادل عند الطفل في عطشه الى قبل أبويه وذويه وحنوهم عليه واحتضانهم له . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تظهر هذه الحاجة في ميله الشديد الى ان يرد العطف بمثله ، ولذا نراه يتدلل على ابويه وذويه ويقبلهم قبلاً حارةً كلما يتيسر له ذلك .

ومما اثبتته التجارب العلمية ان الطفل الرضيع لا ينمو ويترعرع على حليب امه فحسب ، بل على عطفها وحنانها ايضاً . وهذا الغذاء العاطفي لا يقل اهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته . من هنا جاءت ((افضلية التغذية الطبيعية من ثدي الام على التغذية الاصطناعية . ففي الاولى تحضن الام طفلها فيتمتع بأمرين : هما الغذاء والحنان . واما التغذية الاصطناعية فانها تخلو غالباً من شعور الطفل بحنان امه . ولذا يحسن في حالة الاطفال الذين تضطرهم ظروفهم الى تغذية اصطناعية ان تضمهم أمهاتهم عند تغذيتهم الى صدورهن ، وان يضعنهم في الوضع الخاص الذي ينصح به أطباء الاطفال)) .

وغني عن البيان ان قوام الاسرة هو الحب المتبادل ، وان ما يجمع افرادها بالدرجة الاولى ويشد بعضهم الى بعض هو الروابط الروحية العاطفية . ولذا كان من واجب الأبوين ان يخلقا في البيت جواً بيتياً مشبعاً بروح المودة والوئام ، ممهدين بذلك لأولادهم سبيل التفاهم والتعاضد ، حتى اذا نشأوا على هذه الروح في حياتهم البيتية سهل عليهم نقلها الى حياتهم الاجتماعية في خارج البيت . ومن واجبهما ايضاً ان يكفيا الاولاد حباً ودلالاً كما يكفيانهم طعاماً وشراباً . فالغذاء العاطفي لا يقل اهمية في تنمية الولد عن الغذاء المادي ، ومما لا شك فيه ان الولد لا يرتوي من حب والديه ينشأ وفي نفسه غليل يصعب إرواؤه . واذا هو شعر بأنهما منشغلان عنه لا يوفيانه حقه من العطف والعناية ، فانه يحقد عليهما وينقم على المجتمع الذي ينتسبان اليه . وقد تؤدي به الضغينة والنقمة الى الشذوذ والاجرام .